

### الفصل الثالث

## بعض المشكلات البيئية وطرق علاجها من منظور السنة النبوية

- ◀ تمهيد.
- ◀ مشكلة التلوث الهوائي.
- ◀ مشكلة التلوث المائي.
- ◀ مشكلة التلوث الضوضائي.
- ◀ مشكلة التلوث الغذائي.
- ◀ مشكلة التلوث الخلقي.
- ◀ مشكلة الفقر.
- ◀ مشكلة زيادة السكان.

obeyikanda.com

## بعض المشكلات البيئية وطرق علاجها من منظور السنة النبوية

### تمهيد:

إن الأزمات البيئية ليست وليدة العصر الحديث بل إنها قديمة قدم الحضارات المختلفة ومع ذلك فإن الاختلاف بين ذلك والآن هو أن الأزمات الأولى كانت تميل لأن تكون إقليمية ومحلية أما الآن فإن الأزمات الحالية تعد عالمية في مداها كما أن معظم مشكلاتنا البيئية أكثر تعقيدا مما تبدو في الظاهر.

وفي العشرين عاما المنقضية احتلت المشاكل البيئية مكان الصدارة مثل طفق البترول بكميات كبيرة والحوادث النووية والأمراض على اختلاف أشكالها، والموت من جراء النفايات النووية، واختفاء الغابات وتقلص طبقة الأوزون كل هذه الأشياء أصبحت من الضخامة بحيث لا يمكن تجاهلها.

وانطلق خلال العقدين السابقين أحداث " يوم الأرض " التي " اشترك فيها ٢٠٠ مليون شخص من ١٤٠ دولة" (١) لمناقشة المشاكل البيئية ووضع الحلول اللازمة لحل تلك المشكلات ولكن حتى اليوم ومع مطلع القرن الحادي والعشرين وبعد انعقاد قمة الأرض مرة أخرى عام ٢٠٠٢م في جوهانسبرج بجنوب أفريقيا والمسماة بقمة التنمية المستدامة لم يتم حل المشاكل البيئية على الصورة المتوقعة أو المخطط لها.

وتحدث المشكلة البيئية عندما تتجاوز المطالب البيئية مقدرة الفرد على مواجهتها وبذلك تحدث الآثار الجسمية والنفسية السيئة على الفرد، وتعتبر البيئة الطبيعية مصدرا للعديد من الأخطار الجسمية وعادة ما يميل البشر إلى تجاهل هذه المخاطر ويحاولون التعامل مع المخاطر بعد حدوثها بالفعل بدلا من الوقاية منها.

(1)Cahn, R., & Cahn,P., "Did Earth Day change the world?" Environment, No.7 , (New York:Mc graw-Hill Book Co., 1990) ,P. 16.

ولسوء الحظ تبتعد المشكلات البيئية عن الجماليات بل تمتد فتسمم البيئة من خلال التلوث بكل أشكاله بحيث ينتج عنها آثاراً جانبية آتارا جانبية يمكن أن تكون مميتة ويمكن تفسير آثار التلوث البيئي على الصحة إلى آثار حادة أو مزمنة وفيما يتعلق بالآثار الحادة للتلوث فهي تظهر سريعا وتتراوح بين الصداع إلى إثارة التشنجات والموت أما بالنسبة للآثار المزمنة فتستغرق وقتا في الظهور وعادة ما تكون خطيرة مثل أمراض السرطان والرئة والقلب والعيوب الخلقية الناتجة عن المخلفات النووية والاضطرابات العصبية وغيرها من الآثار السيئة على صحة الإنسان .

وتتطلب دراسة البيئة في العصر الحالي " رؤية منهجية أي فلسفة جديدة للمنهج تهدف إلى تغيير الأسس العقلية والثقافية لتصورنا للبيئة إذ أن الأزمة البيئية الحالية أزمة تصور وإدراك ويقع على التربية البيئية مسؤولية إيجاد تصور صحيح لبنيان البيئة وتفاعلاتها ومن الخصائص الأساسية للاتجاه الجديد إبراز العلاقة الوثيقة بين النظم البيئية الطبيعية والبيئة الإنسانية مما ينتج عنه نظرة شاملة للبيئة وإيجاد توازن ديناميكي بين البشرية والطبيعة وفي ضوء ذلك يخطط الإنسان سياسة سليمة للبيئة تساعده في تدير شؤونها" (١) .

والسنة النبوية إيجابية وواقعية تنمو الحياة في ظلها وترتقى فهي نظام كامل حياة مثالية كاملة ، يكتمل فيها للفرد وللجماعة وسائل الأمن والسعادة والسلامة والتمتع بكمال الصحة وموفور العافية وعلاج للمشكلات البيئية المختلفة، ويحاول الباحث في هذا الفصل أن يعرض لأهم المشكلات البيئية المعاصرة وطرق علاجها من منظور السنة النبوية

(1) Antonio Horoni, Interdisciplinary and Environmental Education , vol 3 (Italy :Prospects Review,1990) P.481.

## أهم المشكلات البيئية :

### مشكلة تلوث الهواء :

الهواء أساس الحياة كالماء وبدونه لا توجد حياة لما يتضمنه من أكسجين يغذي دماء الكائنات الحية ، " والهواء هو كل المخلوط الغازي الذي يملأ جو الأرض بما في ذلك بخار الماء وهو يتكون من عدد كبير من العناصر والمركبات الكيميائية يقدر ما هو معروف منها حتى الوقت الحاضر بنحو ١٠٠ عنصر ومركب" (١)

والله سبحانه وتعالى خلق الهواء فقدره تقديرا فلا يزيد ولا ينقص فهو محكم الصنع لحياة الإنسان على الأرض فقد قال الله تعالى :-

(.....وَوَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾)

[ الفرقان:٢ ]

ولكن الإنسان أحدث ما يعكس صفو هذا النقاء الرباني والنسب الدقيقة التي لا ترتفع ولا تنخفض إلا في ميزان منتظم فقد لوث الهواء وجعل نسبه تختل فعاد ذلك بالشقاء عليه مما يضطره إلى أن يحاول العلاج بعد أن استفحل الأمر وزادت خطورته .

ومما لاشك فيه أن وسائل التكنولوجيا الحديثة والتطور المذهل في استخدام الطاقة وخاصة البترول ومشتقاته أحدثت خللا كبيرا في تركيبة الهواء الجوى وذلك لاعتماد المصانع ووسائل النقل على كميات ضخمة من الوقود والفحم " ونتيجة لاحتراق هذه الكميات من الطاقة تبعث الملوثات الجوية وتنقلها الرياح من مكان إلى آخر مما يهدد البشرية وتسبب أمراض خطيرة مثل أمراض التنفس" (٢) ، كما يعد تلوث الهواء من أكبر المشاكل التي

( ١ ) محمد عبد القادر الفقى ،مرجع سابق ، ص ٣٦ .

( 2 ) Weinstein,C. S. Environment attitudes and the prediction of behavior,(New York:Praeger,1991),P25.

تواجه المجتمعات المعاصرة وبخاصة الدول الصناعية وتزداد مأساة هذا النوع من التلوث عاما بعد عام نتيجة للزيادة التراكمية فى حجم الملوثات التي ينفثها الإنسان فى الأجواء .

ويعتبر الهواء ملوثا إذا حدث تغيير كبير فى تركيبه لسبب من الأسباب أو إذا اختلط به بعض الشوائب أو الغازات بقدر يضر بحياة الكائنات التي تستنشق هذا الهواء وتعيش عليه<sup>(١)</sup> هناك مئات الأنواع من ملوثات الهواء<sup>(٢)</sup> :

الملوثات الناتجة عن احتراق الوقود العضوي كالبترول والفحم وهي من أكثر الملوثات تأثيرا فى مكونات نظم البيئة و الملوثات الناتجة عن المخلفات الصناعية و الملوثات الناتجة عن حرق أو إعادة استخدام المخلفات الصناعية و البكتريا والجراثيم الناتجة من تحلل النباتات والحيوانات الميتة والفضلات والمواد الصلبة العالقة بالهواء مثل : الدخان ، وعوادم السيارات ، و أتربة الأسمنت و مواد البناء و أتربة المبيدات الحشرية و الغازات السامة مثل : أول أكسيد الكربون ، ثاني أكسيد الكبريت و كبريتيد الهيدروجين والأوزون و تحتل الملوثات الغازية النصيب الأكبر فى تلويث الهواء و الإشعاعات الذرية : من مصادر طبيعية ( كالرادون ) و من مصادر صناعية ( المفاعلات النووية ) .

ويعتبر تلوث الهواء و الماء نتيجة مباشرة للسلوك الإنسانى حيث الأنهار والبحيرات و المحيطات قد تلوثت بواسطة الآفات الزاحفة و ماء المجارى و المخلفات الصناعية و يقع الزيت و أكوام الفضلات و قد دمرت مجتمعات بأكملها بسبب المخلفات المسممة .

(١) أحمد مدحت إسلام ، التلوث مشكلة العصر ، مجلة عالم المعرفة ، ١٥٢٤ ، ( الكويت : المجلس الوطنى للثقافة

والفنون والأداب ، ١٩٩٠ م ) ، ص ٢٢

(٢) محمد كمال عبد العزيز ، الصحة و البيئة : التلوث البيئى و خطره الدايم على صحتنا ، ( القاهرة : دار الطلائع ،

١٩٩٨ م ) ، ص ص ١٦ ، ١٧ .

كما يؤثر تلوث الهواء على العمل والسلوك الاجتماعي ، فقد أشارت بعض الدراسات إلى أن "هناك ارتباطا بين مستويات العالية من الضباب والدخان وزيادة معدل الاضطرابات الأسرية"<sup>(١)</sup>

ومن أخطر الملوثات الهوائية في العصر الحديث أول أكسيد الكربون الذي يعد المكون الأساسي في عادم السيارات وارتبط بنقص قدرتي الانتباه والتعلم كما أن هناك قدرات أخرى تضطرب بواسطة أول أكسيد الكربون مثل الحكم على الزمن وزمن رد الفعل والمهارة اليدوية واليقظة وهناك مشكلة أخرى خطيرة تتعلق بالغللاف الجوى وهي تآكل طبقة الأوزون نتيجة استخدام مادة (كلوروفلوروكربون) مبردا في مكيفات الهواء والثلاجات ومادة دافعة للدخان أو الضباب<sup>(٢)</sup> وهذه المادة تعجل من تحلل الأوزون الذي يحمينا من أشعة الشمس الضارة مما يصيب الإنسان بأمراض خطيرة مثل سرطان الجلد والعين.

وليست جميع مشكلات تلوث الهواء توجد في الخلاء فقد ازداد اهتمام الناس بنوعية الهواء الذي يتنفسونه داخل المباني وكان هناك خلاف حاد حول أحقية المدخنين وغير المدخنين في الأماكن العامة وتشير البحوث بوضوح إلى أن غير المدخنين يتفاعلون سلبيا مع تدخين السجائر على المستوى الانفعالي والسلوكي جيدا ويشعر غير المدخنين بإثارة كبيرة وقلق وعدوانية وتعب عندما يكونون على اتصال وثيق بدخان السجائر والأفراد الجالسون على مقعد عام أكثر ميلا إلى تركه بسرعة عندما يتم انتهاك حيزهم

(1) Rotton , J ., & Frey , J. ., Psychological costs of air pollution : Atmospheric conditions ,seasonal trends , and psychiatric emergencies . Population and Environment, ( New York: Holt Rinehart and Winston,Inc.,1985) , P 7.

(2)Gorner, P., Antarctic team found adventure , ozone peril,(Chicago Tribune: The University of Chicago Press,1990 ), P.3.

الشخصي بواسطة شخص مدخن ، "ويقر غير المدخنين بأن مشاعرهم أكثر سلبية عندما يجبرون على التعامل مع المدخنين حتى ولو حاول المدخنون إظهار الكياسة والأدب وغالبا ما ينتج عن هذه التفاعلات اكتئاب وعداوة" (١) .

ولكن مع تزايد أخطار تلوث الهواء والأزمات الكونية لا تجد الإنسان يشعر بالمسؤولية تجاهها ويكون الإنسان أكثر ميلا للتكيف مع تلوث الهواء مع مرور الزمن دون علاج أو بحث عن أسباب المشكلة كما يميل الناس إلى الاعتقاد بأن أماكنهم أقل تلوثا من غيرها ويقبلون ظروفهم على أنها طبيعية .

### علاج مشكلة تلوث الهواء من منظور السنة النبوية :

إن خير وسيلة لحماية الهواء من التلوث هي ضبط مصادر الملوثات الهوائية والوصول بها إلى الحد الآمن وذلك باستعمال أجهزة تنقية وتجميع الغازات والجسيمات التي تخرج من المداخن ومحاولة الاستفادة منها ومحاولة علاجها وإعادة استخدامها .

ولكن هذه الوسائل غير كافية لحل أزمة تلوث الهواء فهناك الكثير من الملوثات التي لا يمكن التحكم فيها إلا عن طريق ضمائر الناس وسلوكياتهم الشخصية ولسوء الحظ أن الناس يشعرون غالبا بأنه ليس هناك شيء يمكن عمله ويتقبلون حتما هذا التلوث وتزيد الأمور سوءا عندما " يقاوم الناس مرارا المحاولات التشريعية لتغيير السلوكيات التي تساهم في تلوث الهواء والماء ويتفاعلون بشدة ضد أى عادة شخصية تملى عليهم بواسطة قوى خارجية" (٢) .

(1)Baron, R. A., & Byrne, D., Social Psychology : Understanding human interaction.( Boston : Allyn and Bacon. ,1987), P. 56.

(2)Mazis , M. B., Antipollution measures and psychological reactance theory : Afield experiment ,( New York : Personality and Social psychology, Co., 1985 ) , P.660.

ولكن فى الإسلام يُرى أن الفقهاء على اختلاف طريقتهم اهتموا بموضوع تلوث الهواء بالروائح الكريهة وذلك من خلال التوجيه النبوي الشريف الذي ورد فى الحديث الذي رواه جابر - رضى الله عنه - عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا " (١) ، فإذا كان على أكل الثوم أو البصل أن يبتعد عن المسجد كي لا يضايق إخوانه من المسلمين برائحة فمه فإنه يكون من الأولى عدم السماح للروائح الكريهة من الانتشار فى أجواء المدن وإيذاء سكانها وقد سئل الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) عن سبب كرهه للثوم : "أحرام هو قال لا ولكن كرهته من أجل الريح" (٢) ويمكن قياس هذا الحديث على التدخين السلبي ومضاره للإنسان فما ينطبق على الثوم وكراهية رائحته ينطبق بالتالي على التدخين وآثاره المدمرة مع اختلاف الشكل فالثوم لا مضار منه أما التدخين فآثاره السلبية تفوق الرائحة بل تؤدي إلى مضار عديدة تؤدي إلى الوفاة فى معظمها وهونوع من التهلكة.

وقد أوضحت الدراسات العملية أن " الرائحة الكريهة تؤدي إلى مشاعر سلبية عن البيئة المحيطة والأشخاص الآخرين الذين تتم مقابلتهم فيها ومن جهة أخرى فإن الروائح العطرة تؤدي إلى تحسن أداء الكتابية فى الدراسة العملية وتساعد الأشخاص على وضع أهداف مرتفعة من الأداء لأنفسهم " (٣) .

فلقد سئل الفقهاء "عن حكم شخص أقام مدبغة فى بيته ، تنبعث منه الروائح الكريهة ، فتؤذى جيرانه وتسبب لهم الضرر، فأجمع كل من الفقهاء الثلاثة على حق جيرانه

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج ٣ ، ص ١٢٣ .

(٢) أبو بكر الهيثمي، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣١ .

(3) Rotton , J ., & Frey, J ., Barry , T. Milligan , M., & Fitzpatrick, M., The air pollution experience and physical aggression. ( New York: Personality and Social psychology, Co.,,1980), P9 .

فى إيقافه وحكموا بإغلاق مذبغته ويتساوى فى هذا الحكم حفر مرحاض أو مصرف غير مغطى وكل ما ينبث منه رائحة كريهة فلقد أفاد بعض الفقهاء بضرورة وقف هذه الأنشطة أو تغطيتها لمنع روائحها التى تزكم الأنوف من مضايقة الجيران" (١) .

وكانت توكل إلى المحتسب مهمة مراقبة تلوث بيئة المدينة والأسواق من التلوث بالروائح وتؤكد كتب الحسبة على أن بيع الأسماك يجب أن يتم بعيدا عن سوق المدينة وعلى المحتسب أن يتابع تنفيذ ذلك كما كان عليه أن يمنع كل من تسول له نفسه أن يطرح النفايات والجيف فى الأسواق والطرقات ويمنع الخضارين وغيرهم من طرح أزبالهم فى الطرق حتى لا تنتج عنها روائح كريهة ، وحتى لا تكون مرتعا للحشرات ومصدرا من مصادر التلوث.

وحماية الهواء من التلوث أو الإفساد فى الإسلام ، يعد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، كما فى المحافظة عليه نقيا بعيدا عن التلوث ، محافظة على مقاصد الشريعة الإسلامية من حفظ النفس والعقل والنسل والمال قال تعالى :-

(.....وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.....)

[البقرة من الآية: ١٩٥] .

ومن صور ملوثات الهواء التقليدية التى عالجتها السنة النبوية الحرائق التى تشتعل هنا وهناك عن قصد وعن غير قصد ، وما يترتب عليها من أضرار مادية وصحية على الإنسان حيث تنطلق من النار فى أثناء اشتعالها غازات وأكاسيد سامة مثل : أكاسيد الكربون والكبريت والنيتروجين وغيرها .

(١) محمد عبد القادر الفقى ، مرجع سابق ، ص ص ٥٠ ، ٥١ .

ولم تغفل السنة النبوية عن الأخطار الناجمة عن الحرائق ، فقد أمر الرسول الكريم الحريص على ما فيه صالح الإنسانية ، بإطفاء السراج بعد استخدامه وإخماد النار عند النوم .

فقد قال (ﷺ) " لا يبولن أحدكم في الجحر وإذا نتمم أطفئوا السراج فإن الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق على أهل البيت وأوكئوا الأسقية وخمروا الشراب وأغلقوا الأبواب" (١)

وعن "عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تبيتن النار في بيوتكم فإنها عدو" فما كان بن عمر يركض حتى لا يدع في البيت نارا إلا أطفأها وكان آخر أهل البيت رقادا كان يصلي فإذا فرغ لم ينم حتى يطفىء السراج" (٢) .

وقال (صلى الله عليه وسلم) أيضا " ثم غطوا الإناء وأوكوا السقاء وأغلقوا الباب وأطفئوا السراج فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابا ولا يكشف إناء فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا ويذكر اسم الله فليفعل فإن الفويسقة (الفأرة) تضرم (تتسلل وتدخل) على أهل البيت بيتهم" (٣) .

ويتضح من عرض الباحث للأحاديث السابقة حرص الرسول الكريم على عدم تعريض المنازل للنار والحريق لأنه يعرف مضاره وملوثاته على الفرد وعلى المجتمع فمما لا شك فيه أن الدخان الذي ينبعث نتيجة للحريق سواء من المصانع أو من الحرائق أو من قمامن الطوب ، يحدث أضرارا بيئية وصحية على الإنسان .

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، مرجع سابق، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣١٧ .

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج ٣ ، ص ١٩٤ .

ومن المشكلات تلوث الهواء والتي قامت السنة النبوية بوضع حل جذري لها وتجنب زيادة كمية التلوث في الهواء وما ينتج عنه من زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون وقلة الأوكسجين وهو دعوة إلى الاستزراع إذ تلعب النباتات دوراً مهماً في إحداث التوازن في تركيبة الهواء خاصة غازي الأوكسجين وثاني أكسيد الكربون والتوازن في الدورة الهيدرولوجية الدورة المائية من خلال عملية النتج.

فقد كان الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) يرغب أصحابه ويدعوهم إلى استزراع النباتات وحمايتها والمحافظة عليها ومن أحاديث الرسول في هذا المجال " ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما اختلفا الطير فهو له صدقة " (١).

وبذلك يوضح الرسول الكريم أن غرس الأشجار أو الثمار هو نوع من أنواع تستوجب الصدقة لصاحبها فهو يدعو إلى حماية البيئة والمحافظة عليها وإن كان اكتشاف عملية الأوكسجين وثاني أكسيد الكربون في العصر الحديث إلا إن الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى فهو يعلم تماماً فائدة الزراعة والاستزراع سواء علم ما ينتج عن عملية النتج أم لا .

وقد قال ( صلى الله عليه وسلم ) : " إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها " (٢) فهذه دعوة أخرى يدل على حرصه على الزراعة حتى قيام الساعة لأن في غرسها إحياء للإنسان ودليل على سوجوده وحياته وتنفسه الصحي.

ويستخلص مما سبق دعوة السنة النبوية لحماية البيئة من التلوث الهوائي مع أن البيئة الصحراوية التي يعيش فيها الرسول لم تتضح فيها مشكلة تلوث الهواء إلا أنه يريد

(١) المرجع السابق، ج٣، ص١٨٨.

(٢) الإمام أبو بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج٤، ص٦٣.

أن يعلم الأجيال القادمة بعد أن يزداد العدد وتكتظ البيئة بالسكان أن يحافظوا على نقاء الهواء وزيادة الأكسجين عن طريق الزراعة ، لأنه يسهل على المسلم الذي منع من تلويث هواء الصحراء أن يعتني بنظافة هواء البيئة المحدودة في مساحتها .

### مشكلة التلوث المائي :

الماء هو السائل الذي ينهمر من عند الله فتفيض به الأنهار والبحار والبحيرات والمحيطات والعيون ونظرا لأهميته في الحياة لكل شيء حي ، حيث يقول الله تعالى

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۗ...﴾ [الأنبياء من الآية :٣٠]

ففي قوله تعالى :-

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۗ...﴾ [الأنبياء من الآية :٣٠]

ثلاثة تأويلات أحدهما أنه خلق كل شيء من الماء والثاني حفظ حياة كل شيء بالماء الثالث وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي وجعلنا بمعنى خلقنا<sup>(١)</sup> وقد روى عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي قرت عيني فأنبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من ماء قال قلت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة قال افش السلام واطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام"<sup>(٢)</sup> .

### ولمعرفة أهمية الماء يستعرض الباحث النتائج التالية :

يستطيع الشخص أن يعيش "حوالي شهر بدون طعام ولكن أسبوعا فقط بدون ماء وحوالي ٧٠٪ من جلد الإنسان يتكون من ماء كما يموت حوالي ٣٤٠٠٠ إنسان كل يوم

( ١ ) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق، ج ١١ ، ص ٢٨٤ .

( ٢ ) الإمام النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

من أمراض لها صلة بالماء مثل الإسهال والديدان الطفيلية وهذا يعادل ضحايا مائة طائرة نفثة تتحطم كل يوم ، كما أن النساء والأطفال في معظم المناطق النامية يقطعون مسافات من ١٠ إلى ١٥ كيلومترا كل يوم للحصول على الماء ، وأيضا يحتاج الشخص إلى خمسة لترات من الماء في اليوم للشرب والطهي و ٣٥ لترا أخرى لنظافته ، والأسرة الكندية المتوسطة تستعمل ٣٥٠ لترا من الماء في اليوم والمتوسط في أفريقيا ٢٠ لترا وفي أوروبا ١٦٥ لترا ، كما أن بقرة المزرعة تشرب حوالي أربعة لترات من الماء في اليوم لتنتج لترا واحدا من اللبن و حبة الطماطم الواحدة بها حوالي ٩٥ ٪ ماء ، كما تستعمل حوالي ٩٤٠٠ لتر من الماء لعمل أربعة إطارات للسيارة ، ويتطلب حوالي ١٠٤ مليار لتر من الماء لإنتاج ما يلزم من ورق لصحف العالم يوميا" (١) .

وبناء على ذلك فالماء أساس الحياة ؛ كما لا يستطاع التصور بأن هناك حياة بدون ماء وإن أمكن وجود حياة بدون هواء فلا يوجد كائن واحد دق أو كبير يستطيع الحياة بدون الماء في الوقت الذي يمكن مشاهدة " بعض الأحياء تعيش بدون هواء ويطلق عليها كائنات لاهوائية ك بعض أنواع البكتريا ولذلك نجد أن نسبة الماء في أجسام الأحياء النشطة (أي غير الساكنة ) تتجاوز ٩٠٪ فهو نهر الحياة الدافق في العروق يحمل الغذاء والهواء مخلصا إياه من نفاياته الضارة تنح في النبات بولا وعرقا وبخارا في هواء الزفير للإنسان والحيوان" (٢) .

وجملة القول أن قصة الماء مع الإنسان قصة طويلة تبدأ منذ كان نطفة في الماء ثم جنينا محفوظا في قرار مكين من كل أذى تصله أسباب الحياة كلها من أمه في الحبل

(١) حوربه تازى صادق ، مورد ثمين ونادر "، رسالة اليونسكو ، (فرنسا : منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" فبراير ١٩٩٩ م ) ، ص ٢٠ ..

(٢) عبد الحكيم عبد اللطيف الصعدي ، مرجع سابق، ص ١١٦ .

السري محمولة مع الماء ثم وليدا يأخذ أول غذاء له من ثدي أمه لبنا سائغا قوامه الماء بل إن الماء مع الإنسان حتى فى آلامه وأحزانه يسكبه دموعا تغسل أشجانه فلا عجب أن يستطيع الإنسان الصبر على الجوع أياما كثيرة لا يتحمل الظمأ إلا يوما واحدا أو أربعة أيام على أكثر تقدير .

### تلوث الماء:

إن تلوث الماء يقصد به كل تغيير فى الصفات الطبيعية للماء يسبب الضرر للإنسان " وتتراوح كميات المياه السنوية المستعملة فى النشاط الإنسانى نحو ٦٠٠ كيلو متر مكعب ام ١٩٩٥ ) وتزيد سنويا بمعدل ٦٪ وأن عدم حماية مياه الشرب من التلوث هو المسئول الأول عن تفسى أمراض الإسهال والكوليرا وكثير من طفيليات القناة الهضمية فى هذه الدول بالإضافة إلى الأمراض الأخرى" (١) ومن ملوثات المياه ما يلي :

المواد الكيميائية ، مثل الأملاح المعدنية ( وأهمها أملاح الرصاص والنترات والكبريتات والكلوريدات ) ، وجراثيم الأمراض ( مثل التيفود والكوليرا والباراتيفود والدوسنتاريا ) ، والطفيليات ( مثل البلهارسيا ) ، ومواسير مياه الشرب تعد مصدرا مستمرا للتلوث بالحديد والرصاص وكذلك بمكونات الاسيستوس التي تصنع منها تلك المواسير ، وغاز الكلور فى المياه ؛ حيث يستخدم غاز الكلور عادة للقضاء على التلوث الميكروبي فى المياه وهو غاز سام يتفاعل مع المركبات العضوية الموجودة فى مياه الشرب وقد تتكون مواد ضارة بالصحة العامة ولذلك لجأت دول كثيرة فى العالم إلى استخدام الأوزون فى تعقيم مياه الشرب بدلا من استخدام الفلور والكلور (٢) .

( ١ ) محمد سيد أرناؤوط ، التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان ، ( القاهرة : الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٧ م ) ص ٢٣ .

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٢٣

كذلك هناك تلوث من نوع آخر وهو النباتات والحشائش الضارة فى الماء والتي قد تسبب ضررا بالبيئة والحيوانات المائية " وتمتد جذور الصراع المسجل بين الإنسان والحشائش الضارة إلى ما يقرب من ستة آلاف عام قبل الميلاد ففي الصين يظهر ذلك فى كتاب برتوكول (الزق) المؤلف منذ ٢٢٠٠ مضت فيسجل وجود وظائف رسمية قديمة لإبادة الحشائش كما يظهر عرضا فى الأغاني الشعبية والأشعار القديمة التي تحمل وصفا لأدوات النقاوة وطرق المكافحة والكد فيها فى الحقول" (١).

كما أن هناك مدن بأكملها تلقى بنفاياتها وملوثاتها فى الأنهار مباشرة وكذلك المصانع التي تلقى بالزيوت وبواقي النفط وغيرها من المواد السامة ويعتبر التخلص من مياه الصرف الصحي من أكبر المشاكل فى المدن وخاصة بعدما اتسعت الرقعة السكانية واكتظت المدن بالسكان.

وتحتوى مياه الصرف الصحي على بكتريا كثيرة جدا تسبب أمراضا خطيرة منها "بكتريا السالمونيلا التي تسبب مرض التيفود والحمى المعوية. وبكتريا الشيغلا التي تسبب الإسهال وبكتريا الإشريشيا كولاي (التي تسبب القيء والإسهال وتؤدى إلى الجفاف خاصة الأطفال وبكتريا اللبتوسيرا التي تسبب التهابات الكلى والكبد والجهاز العصبي المركزي وبكتريا الكوليرا التي تسبب مرض الكوليرا وبذلك يتم انتقال الكثير من الأمراض الخطرة بواسطة مياه المجارى إلى المسطحات المائية وتصبح مصدرا للعدوى" (٢).

(1) Yang ,H.L., The development and future trend of weed science in mainland China. ( Hong Kong : Weed Technology, 1987) , P.259

(٢) محمد كمال عبد العزيز ، الصحة والبيئة - التلوث البيئي وخطره الدايم على صحتنا ، مرجع سابق ، ص ٥٠.

## علاج مشكلة تلوث المياه من منظور السنة النبوية :

تقتضى أهمية وضرورة الماء أن يتعامل الإنسان مع الماء تعاملًا حسنًا ، فيجب توظيفه فيما خلق له ، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظل الحياة والأحياء . والاستفادة منه بحكمة وتعقل ، والحرص على طهارته ونقاؤه ، حتى لا يكون بيئة صالحة للأمراض وتعايش الميكروبات والفيروسات ومن ثم يصبح مصدرا للهلاك والإهلاك.

لذا تجد السنة النبوية حريصة في التعامل مع الماء ، " فعن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ، فقال إن بئر بضاعة يطرح فيها الكلاب والحوض ، فقال النبي إن الماء لا ينجسه شيء." (١) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه وبه" (٢) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن أو إحداهن بالتراب " (٣).

ويرى الباحث من خلال الأحاديث السابقة مدى حرص الفقهاء على عدم تلويث الماء وتحريمهم الصدق والدليل اليقيني على نظافة الماء ، فقد قال الإمام الشافعي: " فبهذه الأحاديث كلها نأخذ وليس منها واحد يخالف عندنا واحدا أما حديث بئر بضاعة فإن بئر بضاعة كثيرة الماء واسعة كان يطرح فيها من الأنجاس ما لا يغير لها لونا ولا طعما ولا يظهر له فيها ريح فقيل للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) نتوضأ من بئر بضاعة يطرح فيها كذا فقال النبي والله أعلم مجيبا الماء لا ينجسه شيء وكان جوابه محتملا كل ماء وإن قل وبيننا أنه في الماء مثلها إذا كان مجيبا عليها فلما روى أبو هريرة عن النبي أن يغسل الإناء من ولوغ

( ١ ) النسائي( أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ،ت٣٠٣هـ) ، سنن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ج١(حلب) : مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦م) ، ص١٧٤ .  
( ٢ ) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .  
( ٣ ) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

الكلب سبعا دل على أن جواب رسول الله فى بئر بضاعة عليها وكان العلم أنه على مثلها وأكثر منها ولا يدل حديث بئر بضاعة وحده على أن ما دونها من الماء لا ينجس وكانت آنية الناس صغارا إنما هي صحون وصحاف ومخاضب الحجارة وما أشبه ذلك مما يخلب فيه ويشرب". (١).

كما ورد حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحدد فيه مقدار ما ينجس الماء "إذا كان الماء قلتين فلا ينجسه شيء" (٢) والقلّة هي الجرة الكبيرة عند العرب يمكن حملها وهي كانت تصنع بالحجاز فما قل عن هذه الكمية وأصابه نجاسة فيترك لأنه أصبح ملوثا .

وفي العصر الحديث ظهرت دعوات عديدة لمنع إلقاء الحيوانات النافقة فى الماء لأنها مصدر تلوث وسبب لكثير من الأمراض وفى الظاهر نجد تعارضا بين الحديث الشريف وبين هذه الدعوات ولكن بالفحص الدقيق نجد اتفاقا وليس اختلافا فمن طبيعة الماء أن يتحمل قدر معين من الميكروبات ولكن إذا تعدى القدر المعلوم كما حدده الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فإنه يصبح ملوثا وليس بغريب أن يتحمل الماء النجاسات فلو جلبت نقطة ماء إلى معمل اختبارات ووضعت هذه النقطة تحت المجهر فسوف يرى مئات الميكروبات وآلاف البكتريا وهي تسبح ولكنها غير مضرّة بصحة الإنسان ولكن الرسول لايعني بأن يترك الأمر فوضى فى إلقاء الحيوانات النافقة وإنما حدده فى الحديث السابق بقلتين .

(١) محمد بن إدريس الشافعى ، اختلاف الحديث ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٥ م ) ، ص ص (١٤ - ١٨).

(٢) النيسابورى ، المستدرک على الصحيحين ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

كما يوضح أحد الفقهاء طريقة التيقن من طهارة الماء ويوضح الشروط الواجبة لطهارة الماء - لا يرفع الحدث والخبث إلا الماء المطلق ، وهو ما كان على خلقته أو تغير بما لا ينفك غالباً كقراره والمتولد منه ويكره الوضوء بالمستعمل ويسير حلتة نجاسة لم تغيره وسؤر ما لا يتوقى النجاسة لا ما أفضلته البهائم أو تطهرت منه امرأة خلت به وما تغير بمخالطة أجنبي كالخل والبول سلبه الطهورية وأكسبه حكمه ويكره من آنية عظام الميتة وجلدها ويحرم من النقدين وبجزئ ، ويجب التحري في اشتباه الطاهر بالنجس فيتوضأ بما يغلب على ظنه طهارته وقيل يتوضأ من أحدهما ويصلي ويغسل أعضائه من الثاني ثم يتوضأ به ويصلي فإن كثر على عدد النجاسة واحدة وإذا مات برى ذو نفس سائلة في بئر فإن تغير وجب نزحه حتى يزول التغير ، فإن زال بنفسه فالظاهر عود إلى أصله ، وإن لم يتغير استحباب النزح بحسب الماء والميتة<sup>(١)</sup> .

الحدث هو أثيريقع على الجسم يمنع صحة صلاة قبل زواله وسببه الجنابة أو الحيض والنفاس أو خروج شيء من السيلين أو غير ذلك ، والخبث هو النجاسة ، ومعنى رفعها تطهيرها بإزالة طعمها وريحها بالماء أو في الاستنجا ، وقرار الماء الأرض أو قاع الحوض ونحوه مما يحوي الماء ، والمتولد منه كبعض النباتات الخضراء التي تتولد بنفسها من وجود الماء كالتحالب والأعشاب الصغيرة والسمك والدود ونحوها ، كما يكره أن يتوضأ الشخص بالماء المستعمل بشروط ثلاثة :-

١ - أن يكون الماء يسيراً لا كثيراً فلو كان كثيراً واستعمل قبل ذلك في رفع حدث فلا يضر ويجوز الوضوء به .

٢ - أن يكون استعمل في رفع حدث سابق على الاستعمال الثاني .

( ١ ) عبد الرحمن بن محمد البغدادي المالكي ، إرشاد السالك إلى أشرف المسالك فى فقه الإمام مالك ، القاهرة : الشركة الأفريقية للطباعة والنشر ، د . ت ) ص ٤ .

٣ - أن يكون استعماله ثانياً في رفع حدث أيضاً فلو استعمل الماء المستعمل أولاً في رفع حدث لإزالة حكم نجس جاز ذلك ولم يضره الاستعمال الأول . كما يكره الوضوء بالماء القليل الذي فيه نجاسة لم تغيره فإذا غيرته لم يصح به الوضوء ، أيضاً يكره الوضوء بالماء الموضوع في أنية من عظام الميتة أو من جلدها .، كما يحرم الوضوء من أنية الذهب والفضة ، والمقصود إذا ماتَ بَرِيٌّ دُو نَفْسٍ سَائِلَةٍ فِي بئرٍ أَيْ له دم يسيل ، فإذا لم يكن الميت له دم يسيل كالجراد والذباب فلا يضر موته الماء إذا كثر كثرة تغير الماء ، وقوله بري خرج البحري كالمسك ونحوه مما لا يعيش إلا في الماء فلا تضر ميتته (١) .

يتضح مما سبق حرص الفقهاء على الاسترشاد بالسنة النبوية في معرفتهم بنظافة الماء والبرهان على طهارة الماء من عدمه وأن البيئة المحيطة بالإنسان يجب أن تتغير كما يجب أن يتغير اعتقاد الإنسان بأن مياه الأنهار والبحار والمحيطات هي سلة المهملات الطبيعية التي يمكن أن تلقى فيها بكل أنواع المخلفات وعلى الرغم من أن المياه تغطي أكثر من ٧٠٪ من مساحة الكرة الأرضية إلا أن طاقة الأنهار والبحار والمحيطات قد أصبحت محدودة اليوم وبدأت آثار التلوث تظهر بها بكل وضوح .

كما أن الماء ليس ملكاً لأحد حتى يصنع فيه ما يشاء بل هومنة وعطية من الله تعالى للناس جميعاً ، ولقد قرر الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ذلك صراحة في حديث صحيح إن الناس شركاء في ثلاث وعد منها الماء فقد قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) : "الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلا والنار" (٢) ، وموجب المشاركة ألا يتعدى إنسان على حق الآخرين في استعمال الماء سواء في كمه أو كيفه ومن

(١) المرجع السابق ، ص ٦

(٢) الحارث ( الحارث بن أبى أسامة الحافظ نور الدين الهيثمي ت ٢٨٢ هـ ) ، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تحقيق : حسن أحمد صالح الباكري ج ٢ ، ( المدينة المنورة : مركز خدمة السنة والسيره النبوية ، ١٩٩٢ م ) ، ص ٦٥٣ .

ثم كان تغيير صفات الماء ، يحرم الإنسان من حقه في الاستعمال وذلك لفساد موضوع المشاركة ولذا نهى الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) من التبول في الماء فقد قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) : لا يبولن أحكم في الماء الدائم الذي لا يجرى ثم يغتسل فيه " (١) وذلك بهدف المحافظة على نقاء الماء ليبقى نظيفا كما أنزله الله زلالا طيبا ، تستلذه الحواس وتستمتع به النفوس ، خاليا من كل ما يؤذى أو يضر بالإنسان أو الحيوان أو النبات ، وبلغ من حرص السنة النبوية بالنظافة وحرصه على عدم تلوث الماء ولو بطريق غير مباشر ، أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قال " إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدري أين باتت يده " (٢) ولأهمية النظافة للماء ولغيره جعلها الإسلام بمصدره شعارا من شعاراته العبادية وفضيلة من فضائل الإسلام يتحلى بها المسلم ، ويحرص عليها ، وسواء في ذلك الطهارة الحسية أو المعنوية ، كل ذلك ليبعد بنا عن التلوث أيا كان -فضلا عن أن تكون سببا في حدوثه. فق ورد عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قال : " الطهور شطر الإيمان ولا إله إلا الله تملأ الميزان...." (٣) . وقال أيضا " لا تقبل صلاة بلا طهور" (٤) .

ومن الأهمية أن يعرف الإنسان أن الماء - شأنه شأن جميع الموجودات - قد خلقه الله سبحانه بقدر ، وأن أي إسراف فيه أو تبذير أو تلوث يخل بهذا القدر الصالح للاستعمال ويعرض الحياة لخطر داهم ، حيث لا غناء لمخلوق عنه ، وأن الإسراف وعدم التوزيع يؤدي لا محالة لحروب تعرف في العصر الحديث بحروب المياه ، ولو طبقت السنة النبوية وطبق مبدأ الشراكة وأهمية الاعتدال لعاش الإنسان ولكفي الماء الجميع .

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

(٣) الأصبهاني ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

## مشكلة التلوث الضوضائي :

الضوضاء هي أصوات غير متجانسة وتتجاوز شدتها المعدل الطبيعي المسموح به للأذن فهي أصوات غير مرغوب فيها نظرا لزيادة حدتها وشدتها وخروجها على المؤلف من الأصوات الطبيعية التي اعتاد الإنسان سماعها. وهي خليط من عدة أصوات مختلفة غير متوافقة وغير منتظمة ينفر منها السامع ولا يستريح لها وتبدد سعادته وتقلق راحته ولها تأثير على أعصاب الإنسان وتفكيره وعلى كفاءته في العمل والإنتاج وإذا تعرض الإنسان لضوضاء عالية لفترة طويلة فقد يصاب بضعف السمع (١).

ومن مصادر التلوث السمعي أصوات محركات السيارات وآلات التنبيه وأصوات المذياع والتلفزيون وغيرها من مسببات التلوث الضوضائي فبدلا أن يكون الصوت وسيلة للتأنس والتمتع بجمال الحياة أصبح من دواعي متاعب الحياة وبدلا من أن يكون وسيلة لنقل الأفكار إلى وسيلة للإزعاج والمرض والضييق.

ومن الآثار الناتجة للتلوث الضوضائي هي (٢):

١. الأذن : تسبب المفرقات موجات شديدة من التضغط والتخلخل تؤدي

إلى انفجار طبلة الأذن وكذلك حدوث نزيف في الأذن الوسطى.

٢. الجهاز العصبي :

تندفع موجات الصوتية في شكل موجات كهربائية تصل إلى لحاء المخ ومنها إلى

التكوين الشبكي وينتج عن ذلك حدوث تهيج في الجهاز العصبي اللاإرادي خاصة الجهاز

(١) سيد أحمد السيد خلاف، " الضوضاء "، مجلة أسبوط للدراسات البيئية، (٣٤: أسبوط : جامعة أسبوط، ١٩٩٢) ص٩١.

(٢) محمد كمال عبد العزيز، مرجع سابق، ص ص (٧٧: ٨٧).

السمبتاوى الذي يؤدى إلى زيادة سرعة دقات القلب وارتفاع في ضغط الدم الشريانى وتقلصات في عضلات المعدة وزيادة في إفرازاتها .

### ٣. الدورة الدموية :

تسبب الأصوات العالية المفاجئة انقباضا وتقلصا في الأوعية الدموية ومع استمرار هذا التقلص يحدث ارتفاع في ضغط الدم والذي يحدث أيضا بسبب إثارة مراكز معينة في المخ والتي تتهيج بسبب الضوضاء .

### ٤. الهلاك بالصيحة :

قوة الصوت التي تزيد عن ١٥٠ ديسبيل مثل أصوات القنابل الضخمة والمفرقات الهائلة الناتجة من القنابل الذرية تؤدى إلى هلاك الإنسان والحيوان في الحال وذلك نتيجة انفجار الرئتين وتوقف القلب المفاجئ قال تعالى :

(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَيْرِهِمْ جِثْمِينَ)

[هود : ٦٧]

وقال أيضا :

(أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي

ءِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ...)

[البقرة : ١٩]

ومن خلال النتائج السابقة يتضح مدى خطورة التلوث الضوضائي مع تزايد في هذا العصر بسبب التكنولوجيا المتقدمة واستخدام وسائل المواصلات بكثرة والمكيفات وأجهزة المذياع والتلفاز وغيرها كل ذلك أدى بإنسان العصر الحديث أن يعيش في تلوث

ضوضائي قادر على إصابته بجميع أمراض الأذن وخاصة الضعف السمعي الذي انتشر بصورة كبيرة في العصر الحديث وخاصة مع تزايد السن حيث تعتاد الأذن على هذه الضوضاء فيصيبها نوع من الأذى بدرجة قد لا تسمع بعدها إلا الأصوات المزعجة ، ومع أن الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) لم يحضر هذه الثورة التكنولوجية الحديثة إلا أنه نبه لعلاج مشكلة الضوضاء وذلك حرصا على سمع المسلم ونقائه .

### علاج مشكلة التلوث الضوضائي من منظور السنة النبوية :

الضوضاء هذا نوع من أنواع الإفساد البيئي وهو الإفساد السمعي الذي انتشر في زمننا المعاصر وأثر في كثير من صورته على أسمع الناس وأعصابهم ومن حق كل إنسان أن يمارس نشاطه في مجتمع هادئ بعيدا عن الضوضاء والصخب لأن الضوضاء لها تأثيرها السيئ والسلبي على صحة الإنسان وعلى هدوئه النفسي والعصبي وعلى إنتاجه الفكري ومن هذا فقد نهى الإسلام عن رفع الأصوات أو إحداث جلبة شديدة أو ضوضاء عالية حماية للبيئة من التلوث السمعي ، فقد نهى القرآن الكريم عن إحداث الضوضاء والأصوات المرتفعة في الطريق وحتى داخل المسجد ولو كانت الضجة لتلاوة القرآن .

فالقرآن الكريم يدعو إلى خفض الصوت فلقد أمر المسلمين بآلا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ومع ما في هذا الأمر من دعوة لاحترام الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه يحث أيضا على خفض الصوت وبخاصة إذا علمنا أنه لم يؤثر عن - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يتكلم بصوت عال في المجالس فقد صور القرآن الكريم من يتحدث بصوت مرتفع صورة بغیضة حيث شبهه بالحمار صاحب أنكر الأصوات وأقبحها

قال تعالى :-

(وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

الْحَمِيرِ) [لقمان: ١٩].

وفى السنة النبوية فقد رفض الرسول (صلى الله عليه وسلم) استخدام الأبواق فى الأذن أو استخدام الطبول كما كانت عادة العرب فى الحروب قبل الإسلام فلقد اختار بلالا - رضى الله عنه - للأذان، لأن له صوتا رخيما أى جميلا عذبا .

"وقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الضوضاء ، "فمن أبى قتادة قال : بينما نحن نصلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ سمع جلبة خارج المسجد فقال : " ما شأنكم ؟ " قالوا استعجلنا إلى الصلاة ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فأتموا" (١) .

ومن خلال الحديث السابق يتضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الجلبة ورفع الأصوات لما فيه من الإيذاء للآخرين حتى ولو كان مصدر الضوضاء قراءة القرآن أو أداء ركن من أركان الإسلام فقد روى "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال إن المصلي يناجي ربه فلينظر ماذا يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض فى القرآن" (٢) .

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٢١ .  
(٢) النسائي ( أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، ت ٣٠٣ هـ ) ، السنن الكبرى، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ج ٥ ، ( بيروت : دار الكتب العملية ، ١٩٩١م ) ، ص ٣٢

وإذا كان الإسلام ينهى عن رفع الصوت لما فيه من الإيذاء فغيره من مكبرات الأصوات وأبواق السيارات وأجهزة الإذاعة والتلفزيون وغيرها أولى بالنهي لأن ضررها على جميع وظائف الجسم أشد وأخطر والضرر ممنوع ومنهى .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله يبغض كل جفطرى جواظ ، سخاب فى الأسواق " (١) والجفطرى الجواظ هو "القصير السمين المتكبر المتباعد عن النصيحة كبرا وخيلاء" (٢) والسخاب هو "الرجل الكثير الجلبة والضجاج والخصام" (٣) ، وهذا يدل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على عدم حدوث الضوضاء حتى فى الأسواق فالأسواق هى موضع اجتماع الناس فى البيع والشراء وكثيرا ما تحدث الضوضاء الشديدة فكل بائع ينادي على بضاعته بأى وسيلة ولا يهمله مدى تأثير هذه المكبرات على المتسوقين بل همه بيع بضاعته ويتنافسون فى تكبير الصوت فأعلامهم صوتا أكثرهم بيعا ولو اتخذنا تطبيق سنة رسول الله لكان البيع فى سكون واحترام هو أجدى للبائع والمشتري وهناك مواقف نهى الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - فيها عن إحداث الصوت ولو بكلمة واحدة . يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم : " إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب : صه ، فقد لغوت " . وذلك لأن لو كل مصل تحدث - ولو بلفظة واحدة - مع جاره ، لأصبح الأمر فوضى ، ولم يعد أحد قادرا على الإنصات. (٤)

ونستفيد من هذا الحديث عمليا فى قاعات الدراسة والمحاضرات وأيضا فى المدارس وغيرها أنه لا بد من الإنصات للمعلم أو القائم بالمحاضرة لأن فى الإصغاء استفادة للجميع أمام الضوضاء التى يحدثها بعض الأفراد فهى لن تؤثر عليه فقط ولكن تأثيرها سوف يشمل

(١) ابن حبان ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ( القاهرة : دار المعارف ، دبت ) ، ص ١٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٦١ .

(٤) محمد عبد القادر الفقى ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

الجميع فيقل استيعابهم ويضيع الفهم فلا نقتصر على الإنصات في المسجد فقط بل يشمل جميع مؤسسات التربية .

كما اهتم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالتشجير والنبات لأنه منقى للأصوات بالإضافة للهواء " فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها " (١) .

ومن خلال الحديث السابق نستنتج أن التشجير مهم للإنسان والكائنات الحية لما لعملية النتج في التأثير على صحة الإنسان كما أن الأشجار تعتبر مصفاة للضوضاء بالإضافة إلى أنها تنقى الجو من أنواع ملوثات الهواء.

ولقد أصبح للضوضاء مساحة كبيرة في حياتنا بعد تكاثر الأجهزة التكنولوجية المساعدة في تضخيم الصوت لدرجات عالية واليسر في الحصول عليها ، ولقد أكدت البحوث والدراسات أن مثل هذه الضوضاء الزائدة والمتكررة تصيب الإنسان بضعف في أذنيه مما يصل إلى مرحلة الصمم في بعض الحالات وليس ذلك أمرا نظريا فقد روى عن الرسول الكريم " عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات فهؤلاء قوم صالح سألو نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويشربون من لبنها مثل ما كانوا يتروون من مائهم فعتوا عن أمر ربهم فعقروها فوعدهم الله ثلاثة أيام وكان موعدا من مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان تحت مشارق السماوات ومغاريها منهم إلا رجل

( ١ ) الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، ( بيروت : دار البشائر ، الإسلامية ، ١٩٨٩ ) ، ص ٦٠ .

كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله قالوا يا رسول الله من هو قال أبو رغال<sup>(١)</sup>. وغيرها من الأحاديث التى تدل وتعبّر عن الفزع والهلع الذى يصيب الناس نتيجة الصوت المدوي وينتهى بهم إلى الهلاك.

كما أن للضوضاء تأثيرا على إنتاج العاملين وحسن الأداء فى العمل "فيتأثر إنتاج العاملين فى المصانع والورش ، نظرا لما يحدث لهم من صداد وعدم تركيز أو انفعال ولقد أكدت البحوث والدراسات صحة ذلك ومنها دراسة العالم البريطانى ( هـ . س وستون ) حيث أوضح أن كفاءة النساجين البريطانيين قد زادت بمعدل أكبر فى الإنتاج عندما وضعوا سدادات الأذن فى سمعهم "(٢).

كما أن دعاء الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) يشمل حماية السمع والبصر من الضرر ولن يتأذى السمع إلا من الضوضاء والأذى وقول الخبائث فقد قال ( صلى الله عليه وسلم ) " اللهم عافني فى سمعي ، اللهم عافني فى بصري " (٣) وكان دائما يقدم السمع على البصر لأنها أداة التعليم الأولى للإنسان ، فلولا السمع ما تعلم الإنسان ولا عرف أن ينطق بأية لغة ، مما يدل على أهمية السمع والمحافظة عليه .

كما كان الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) يمكن رفع الصوت حتى ولو كان للتكبير فقد روى " عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا

(١) الإمام الحاكم ( محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، ت ٤٠٥هـ ) ، المستدرک على الصحیحین ،

مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

(٢) صلاح عبد السمیع عبد الرازق ، مشكلة التلوث الصوتی ( الضوضائی ) ، ١٠٠/١٠٣/٢٠٠٣م .

إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده" (١) أي اخفضوا أصواتكم فالله يسمع أصواتكم فهو قريب سميع ، وهذا الحديث دعوة لعدم الجلبة والضوضاء في غير فائدة فالأصوات المزعجة دائما منفرة وغير مريحة للإنسان وقد يصاب الإنسان بالاشمئزاز من سماع الأصوات المرتفعة حتى ولو كان عبادة فنجد مثلا أصوات المؤذنين تتعالى في أوقات الصلاة وكأنهم في تنافس لرفع الصوت ناهيك عن الأصوات الكريهة وغير المحببة للنفس فقد تكون وسيلة تنفير من الأذان بل تنفير من الصلاة وقد سبق أن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) استخدم بلالا ليؤذن لأنه صوته رخيم أي جميل محبب للنفس لا بالمرتفع ولا المنخفض يدخل في النفس ويتسلل فيثير فيها الإحساس بالسكينة والوقار كما يشاهد في بعض المؤذنين في العصر الحديث .

وفي دعوة أخرى من رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) للمعلمين بأنه يجب أن يستنصتوا المعلمين قبل شرحهم لأن الجلبة والضوضاء تفقد التركيز وتؤدي إلى البلادة الدراسية فقد روى عندما خطب رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في حجة الوداع أنه طلب استنصات الناس لأهمية الخطاب " استنصت الناس ثم قال لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" (٢) وبذلك يتعلم الناس آداب الاستماع ومن أهم هذه الآداب عدم رفع الصوت إلا في فائدة.

كما ورد عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في معالي الأخلاق " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون..." (٣) والثرثار هو كثير الكلام والضوضاء بدون فائدة فهو يرفع من

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٩١ .

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٨١ .

(٣) الإمام الترمذي ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٧٠ .

صوته ويتشددق فى الكلام بدون نفع أو فائدة وبالتالي يحدث الضوضاء ، هذا وقد أبغضه الرسول وأبعده عن مجلسه يوم القيامة نتيجة للثرثرة والضوضاء غير المجدية .

كما ينبهنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) إلى الضوضاء التى تصدرها السيارات والقطارات وغيرها من وسائل المواصلات بطريق غير مباشر فقد قال " الجرس من مزامير الشيطان " (١) وقال أيضا " العير التى فيها الجرس لا تصحبها الملائكة " (٢) وكانت العير هي وسيلة المواصلات فى عهد النبي مع الفارق فى العصر الحديث ولكنه منع أن تعلق الأجراس فى عنق الناقة والبعير منعا للضوضاء كما عد هذه الأجراس من الشيطان تحقيرا لها ونبذ لها لأنها مصدر الجلبة والضوضاء وقياسا على هذا استخدام الأبواق فى السيارات والمركبات فى العصر الحديث وهي آلات تنبيه مثل الجرس بل أخطر وبذلك فقد منع الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) استخدام هذه الآلات ذات الأصوات المرتفعة قياسا على الجرس المعلق فى العير .

\*مما سبق يتضح لك مدى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ضرورة اتباع تعاليم الإسلام ومنها السكينة وخفض الصوت ، وتلك من سمات الأمم المتحضرة ، كما يتضح أيضا حرص الرسول الكريم على عدم التلوث الضوضائي الذى يصيب الإنسان بالأمراض المختلفة ويجعله عرضه للصمم ويدعوه إلى السكينة والوقار وغرس الأشجار التى تعد مصفاة للبيئة من التلوث الضوضائي .

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .  
(٢) الدارمي ( عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، ت ٢٥٥ هـ ) ، سنن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ، ج ٢ ، ( بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٨٦ م ) ، ص ٣٧٣ .

ويمكن اتباع ما يلى للتقليل من حدة التلوث الصوتي فى ضوء السنة النبوية :

- التخطيط العمراني الجيد الذي يراعى وجود المناطق السكنية والمدارس بعيدا عن مصادر الضوضاء .
- عدم منح تراخيص إقامة المصانع داخل المناطق السكنية أو قريبا منها .
- استخدام المواد العازلة للصوت فى بناء المنازل والمدارس والمستشفيات .
- وضع ضوابط لاستخدام مكبرات الصوت ذات الأصوات الحادة وبخاصة فى أماكن الترفيه العامة والمقاهي .
- نشر الوعي عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بأخطار الضوضاء وتأثيرها السلبي على الصحة العامة للمجتمع ككل .
- زيادة الرقعة الخضراء حول المدارس والمسكن والمستشفيات للتقليل من تأثير الأصوات وامتصاصها.

### مشكلة التلوث الغذائي :

نتج عن التطور التكنولوجي فى إنتاج الغذاء لملاحقة الأعداد المتزايدة من السكان حدوث بعض الآثار السلبية لمكونات الطعام مما أدى تلوث المادة الغذائية بأنواع مختلفة من الملوثات ، فالمادة الغذائية هي " خليط من مجموعة من الكربوهيدرات والبروتين والدهن والفيتامينات والأملاح المعدنية يتناولها الإنسان فى طعامه ، من أجل نموه وتكاثره وطاقة حركته ونشاطه وفى نفس الوقت لوقايته من الأمراض "(١).

ولكن " غذاءك الطبيعي ربما يحتوى على مركبات سامة طبيعية فإن مواد عديدة طبيعية مثل السابونين والسولانين وكذا الأحماض الأمينية غير البروتينية وغيرها تسبب

---

( ١ ) محمد السيد أرناؤوط ، التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان ، مرجع سابق، ص ١١٥ .

قلقا على المستوى الغذائى وذلك لأنها تتواجد فى نباتات ذات أهمية اقتصادية سواء أكانت تستعمل كغذاء للإنسان أم كعلائق للحيوان ومن ثم فقد حظيت مثل هذه المركبات باهتمام بالغ من قبل الباحثين<sup>(١)</sup>.

ونظرا للزيادة السكانية الرهيبة وفى ضوء الزيادة المطردة للطلب على الغذاء ازدادت الدعوة لاستخدام معدلات عالية من الأسمدة الكيماوية خاصة الأوتوية والفوسفاتية ) وكذلك المبيدات وفى نفس الوقت تناقصت معدلات استخدام الأسمدة العضوية<sup>(٢)</sup> كل هذا أدى إلى تلوث الغذاء والإصابة بأمراض عديدة منها السرطان وأمراض الجهاز الدوري .

وفى الوقت الحاضر يهتم العالم بمشكلة تلوث الغذاء إذ كان لتطور الصناعة الأثر السيئ فى زيادة المخلفات الكيماوية ، كما لعبت المبيدات المستخدمة فى كثير من المحاصيل الزراعية دورا كبيرا فى هذه المشكلة . " والملوثات تتكون من نوعين : ملوثات كيماوية : وتتمثل فى المبيدات الحشرية والزرنيخ والكاميوم والرصاص والزنبيق والمركبات العضوية والهالوجينية ومركبات الفينول والزيوت والشحوم والنترات والنيترتت وهى مواد تسبب على مدى قصير أو بعيد التسمم الحاد أو المزمن للجهاز العصبى وأمراض الكلى وأمراض الدم عند الأطفال وقد تسبب سرطان الدم على مدى بعيد ، وملوثات بيولوجية : تتمثل فى الكائنات البكتيرية والفيروسات والديدان والطحالب وتؤدى إلى أمراض مختلفة

( ١ ) محمد كمال يوسف ، فوزى عبد القادر الفيشاوى ، " سموم الغذاء الطبيعية" ، مجلة أسبوط للدراسات البيئية ، ع؛ ٣ أسبوط : جامعة أسبوط ، ١٩٩٢م ، ص ٦٥  
( ٢ ) محمد السيد أرناؤوط ، التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان ، مرجع سابق، ص ١٢١ .

مثل الإسهال والدوسنتاريا والتيفود والكوليرا والالتهاب الكبدى الوبائى والنزلات المعوية (١) وتتعدد أنواع التلوث الغذائى فيما يلى (٢) :

### أولا : التلوث البكتيرى :

يعد هذا النوع من التلوث من أقدم أنواع التلوث التي عرفها الإنسان وأكثرها انتشارا والطعام الملوث بالبكتريا الضارة يسبب حدوث العدوى بالأمراض المختلفة مثل التيفود والباراتيفود والحمىراجعة والدوسنتاريا وقد تقوم البكتريا كذلك بإفراز سموم بالطعام ينتج عنها أعراضا مرضية مثل الإسهال والقيء وآلام البطن. وهذه الأعراض قد تكون خطيرة تؤدي إلى الوفاة مثل التسمم البوتويلنى الذي تسببه المعلبات والأسماك الفاسدة .

وتكاثر البكتريا وبالتالي زيادة معدل إنتاجها للسموم بالغذاء قد يكون قبل أو بعد تناول الغذاء وعادة يكون تأثير الطعام الملوث أسرع وأشد إذا ما كان الطعام ملوثا قبل إعداده للاستهلاك .

والأغذية الأكثر عرضة للتلوث بالبكتريا الضارة هي : اللحوم ومنتجاتها والدواجن والأسماك والألبان ومنتجاتها وكذلك الأغذية المصنعة والمطهية والمعلبات الفاسدة والوجبات السريعة التي تباع بالشارع مثل : الكشرى والبادنجان المقلى والطعمية... إلخ .

(١) حسين يوسف ، " مصادر التلوث البيئى للمياه وأثره على الغذاء وصحة الإنسان "، سلسلة ندوات " نحو تفاعل أفضل بين الجامعة والبيئة ، الندوة الرابعة، تلوث الغذاء : المحاضرات والأبحاث ، (أسبوط : جامعة أسبوط ، ١٩٩٣)، ص ١٠ .

(٢) فضلا انظر في :

-جهاز شنون البيئة، الأسرة والغذاء والتلوث ، ( القاهرة : مطابع الأهرام ، د.ت) ص ص (٧ : ١٠)  
-سيد أحمد السيد خلاف، الإشعاعات المختلفة وتأثيراتها الضارة ، مجلة أسبوط للدراسات البيئية ، (٢٤، أسبوط : جامعة أسبوط ، يناير ١٩٩٢م) ، ص ٩ .

ومن أهم مسببات التلوث البكتيرى عدم الاهتمام بالنظافة الشخصية ونظافة الأدوات المستخدمة وأماكن تحضير الأطعمة وكذلك سوء تداول الغذاء وتخزينه على درجات حرارة غير مناسبة أو لفترات طويلة تسمح بنشاط البكتيريا المسببة للتلوث . ومن مسببات التسمم بهذا النوع أيضا عدم الطهي الجيد للغذاء وتناول الأغذية من المصادر غير الموثوق بها وخاصة الباعة الجائلين .

### ثانيا : التلوث بسموم الفطريات ( العفن ) :

تنمو بعض أنواع الفطريات على الأغذية وتفرز سموما شديدة الخطورة على الإنسان حيث تسبب سرطان الكبد وخلا بوظائف القلب والأنسجة المختلفة وكذلك حدوث تغيرات وراثية وتشوه بالأجنة .

والأغذية الأكثر عرضة للتلوث بالفطريات ( العفن ) هي الحبوب مثل : القمح والذرة والبقوليات مثل : الفول السوداني والعدس والفاصوليا واللوبياء والبسلة الجافة وكذا الخبز والدقيق إلى جانب الأنواع المختلفة من المكسرات مثل : البندق واللوز، والفواكه المجففة مثل : التين والمشمش والزبيب والقراصيا والبلح .

وأهم مسببات التلوث بهذا النوع من الفطريات هو التخزين السيئ في أماكن حرارتها مرتفعة ورطوبتها عالية وكذلك طول مدة التخزين وعدم استخدام العبوات المناسبة .

### ثالثا : التلوث بالمبيدات :

تستخدم المبيدات لحماية الإنتاج الزراعي من مختلف الآفات بهدف زيادة الإنتاج .

وتتواجد متبقيات المبيدات فى معظم أنواع الخضروالفاكهة ودهون اللحوم والطيور والأسماك والألبان والأحشاء الداخلية وبعض الغدد الغنية بالدهن والمخ والكلاوي والكبد .

وترجع خطورة المبيدات إلى أنها تؤثر على الجهاز العصبي بصفة خاصة وتحدث خلافاً في وظائف أعضاء الجسم المختلفة مثل الكبد والكلى والقلب وأعضاء التناسل ، بل يصل التأثير إلى أهم مكونات الخلية حيث تحدث تأثيرات وراثية أو سرطانية أو تشوه خلقى في المواليد ويتعدى الأمر إلى خلل في سلوك الأفراد وخاصة الأطفال وخطورة هذه المبيدات ليست فقط في إحداث التسمم الحاد الذي قد يؤدي إلى الوفاة وإنما في حدوث سمية مزمنة من خلال التعرض أو تناول الأشخاص لجرعات ضئيلة ولفترات طويلة من حياتهم .

ومن أهم مسببات التلوث بالمبيدات ، الإسراف أو الاستخدام السيئ لها خلال إنتاج وتجهيز وتداول الغذاء ويزيد من خطورة المبيدات الكيماوية عدم الإلمام بكيفية التخلص أو التقليل من متبقياتها بالأغذية المختلفة .

#### رابعاً : التلوث بالمعادن الثقيلة :

أصبح التسمم بالمعادن الثقيلة مثل : الرصاص والزرنيق والكادميوم والزنك والنحاس من أكبر المشكلات التي تواجه الإنسان في الوقت الحاضر حيث يؤدي تعرض الإنسان وتناوله لهذه المعادن إلى حدوث بعض الأمراض مثل : الفشل الكلوي – والذي زاد زيادة مخيفة في الآونة الأخيرة .

ويؤدى هذا النوع من التسمم إلى خلل في وظائف الكبد وزيادة حالات الإجهاض والأنيميا وقد يؤدي كذلك إلى حالات من التخلف العقلي ترجع إلى التأثير الضار لهذه المعادن على الجهاز العصبي .

والأغذية الأكثر عرضة للتلوث بالمعادن الثقيلة هي : أسماك المياه الملوثة بالمجاري ومخلفات المصانع وكذلك الخضروالفاكهة المزروعة على جوانب الطرق حيث يعرضها ذلك للتلوث بعامد السيارات ، هذا بالإضافة إلى الأغذية غير المغلفة كذلك لمثل هذا التلوث الأغذية المعلبة – خاصة الحمضية منها – والتي يستخدم الرصاص في لحام عبواتها .

ومن الأمراض المتعلقة بالغذاء أمراض القلب وضغط الدم وهو ما يعبر عنه زيادة نسبة الكوليسترول في الدم " والكوليسترول هو ذلك الدهن الحيوانى الذي تتناوله في الطعام ويجرى في الدم وله حد طبيعى ونسبة طبيعية في الجسم إذا زادت هذه النسبة فإن جزءا من هذه الزيادة يلتصق ويترسب على جدار الشرايين فإذا استمرت الترسبات على جدار الشرايين تصح مجارى الشرايين ضيقة تدريجيا وتحد من حرية وسرعة جريان الدم الواصل من الشرايين إلى عضلة القلب ، فإذا حدث انسداد للشرايين تكون نتيجة ذلك جلطة في القلب ؛ فزيادة الكوليسترول هي أحد العوامل الرئيسة التي تؤدي إلى الإصابة بأمراض القلب والشرايين (١) .

### ● علاج مشكلة التلوث الغذائى من منظور السنة النبوية:

إن الوقاية خير من العلاج وللحماية من تلوث الغذاء يجب منع حدوثه أولا وذلك باتباع القواعد العامة لنظافته ووقايته من تأثير البكتريا والفيروسات ومخالفة العادات الغذائية السيئة التي تؤدي إلى حدوث بعض الأمراض مثل "البلاجرا والأسقربوط والكساح

(١) عبد الكريم التاجورى ،"من إعجاز السنة النبوية: العلاج بالتبينة"، مجلة الأزهر ، ج(٣) السنة(٧٦) ، (القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية، مايو ٢٠٠٣م)، ص ١٤ .

ولين العظام والأنيميا الخبيثة" (١)، ولا شك أن تلوث الغذاء صورة من صور الفساد والضرر  
{ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ..... }

(الأعراف من الآية: ٥٦)

ولقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يأخذ بالأسباب فى منع حدوث التلوث  
الغذائي فيقول: أغلقوا الأبواب وأوكئوا السقاء وأكفئوا الإناء وخمروا الإناء وأطفئوا  
المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحل وكاء ولا يكشف إناء وان الفويسقة تضرم على  
الناس بيئهم (٢).

ومن خلال الحديث السابق نستنتج أنه يجب تغطية الطعام قبل النوم وذلك منعا  
لتعرض هذا الطعام لحشرات الليل وما أكثرها وكذلك تخمير الإناء هو تعريضه لدرجة من  
الغليان تحفظه من الإفساد وحفظه فى أماكن معدة لحفظه وهو ما ينطبق عليه اليوم فى  
الوقت المعاصر الثلاجات فقد كانت هناك أوانى فى عصر النبي (صلى الله عليه وسلم)  
تصنع من جلود الحيوانات تحفظ الطعام فيها وكذلك مياه الشرب كما أمر الرسول  
الكريم بإكفاء الإناء وذلك منعا لتعرضه للملوثات قد تضر بالفرد لأنه يستعمله فى الشرب  
أو الطعام ومن هذه الملوثات الفأره وهي تدخل بيوت الناس ليلا فتأكل من الطعام  
المكشوف وتشرب من الإناء الموجود أمامها مما يعرض الأفراد إلى الإصابة بالأمراض  
المختلفة والتي تنتقل عن طريق الطعام المأكول من قبل الفويسقة (الفأرة) وما ينطبق  
على الفأر ينطبق على الصراصير باختلاف أنواعها والنمل والذباب وغيرها من الآفات التي  
تتعرض بشكل مباشر للغذاء.

(١) محمد كمال يوسف ، عادات ومعتقدات غذائية ، مرجع سابق، ص ٦٧ .  
(٢) البخاري ، الأدب المفرد ، مرجع سابق، ص ١٥٧ .

" يقول الشيرازى : " يكتب المحتسب فى دفتره أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم فإن الحاجة تدعو إلى معرفتهم ويأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها ، وغسيل المعاجن ونظافتها وما يغطى به الخبز ، وما يحمل عليه ، ولا يعجن العجان بقدميه ولا يركبتيه ولا بمرفقيه لأن فى ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر فى العجن شيء من عرق إبطيه ويديه فلا يعجن إلا وعليه ملعبه - ثوب من غيركم - أو بشت مقطوع الأكمام ويكون ملثما أيضا لأنه ربما عطس أو تكلم فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه فى العجن ويشد على جبينه عصابة بيضاء لئلا يعرق فيقطر منه شيء فى العجن ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء فى العجن وإذا عجن فى النهار فليكن عنده إنسان فى يده مذبة يطرد عنه الذباب " (١) .

وفى حديث الشيرازي السابق يقرر أسسا هامة فى عمل المخابز والقائمين عليها ويفترض شروطا غاية فى الدقة والنظافة وهذا من أجل المحافظة على صحة الإنسان فقد قرر دستوروا يأخذهم القائمين على شركات المطاحن والمخابز ليضعوه أمامهم ويطبقوه ويجعلونه من المواصفات القياسية للحصول على جودة الإنتاج والصحة فقد قرر الآتى : -

١. معرفة أماكن المخابز بدقة حتى يسهل مراقبتها بين الحين والآخر نظافة الأوعية التي تخبز فيها وتغطيتها من ملوثات البيئة المحيطة .
٢. غسل المعاجن التي يعجن فيها وعدم تعرضها للملوثات البيئية وكذلك نظافة الألواح التي يقطع عليها الخبز ومراعاة تغطيتها بعد تقطيعها وعند ذهابها للفرن .
٣. كما يقرر مبدأ أرساه الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وهو احترام الطعام وعدم إهانته فقد قرر أنه لا يستعمل قدميه ولا ركبتيه ولا مرفقيه فى العجن من أجل احترام هذا الغذاء .

( ١ ) محمد عبد القادر الفقى ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

٤. كذلك عند عملية العجن يراعى الآتى : ارتداء ملابس خاصة تمنع نزول العرق وتتميز بسهولة الحركة للخباز وكذلك حلق شعر الإبطين واليد ؛حتى لا يقع شيئاً في العجين ووضع عصابة بيضاء على رأسه ومواضع العرق من أجل ألا يسقط عرقاً في العجين كذلك لا بد أن يكون ملثماً حتى لا ينزل مخاط أو بصاق في العجين أثناء العمل ويقرر أيضاً لا بد من وضع شخص مهمته إبعاد الذباب والهوامت أثناء عملية العجن..

وكل هذا يعد قانوناً واجب التنفيذ على القائمين بالمخابز وحتى نضمن عدم تلويث الغذاء أو الخبز بمعنى أصح وهو الغذاء الذي يعتمد عليه أكثرية البشر. كما أن الغذاء سبب رئيس في كثير من الأمراض حيث أعلن ذلك رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) حين قال " ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب الآدمي ثلاث أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه" (١) فامتلاء البطن بالطعام يصيب بالأمراض بل بالتبلىد الفكري فرسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يريد مسلماً قوياً قادراً على تحمل التبعات المنوط بها ولا يتم ذلك في حالة امتلاء البطن بالطعام ناهيك عن أمراض السمنة وما يتعلق بها من أمراض ظهرت بكثرة في العصر الحديث حيث هنالك الكثير من الأمراض التي تتعلق بالسمنة منها السكر وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وأمراض القلب .

ومن الجدير بالذكر أن يتناول الباحث آداب الطعام كما قررها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد وضع الرسول المربي آداباً وضوابط إذا التزم بها المسلم لآمن طعامه من التلوث الغذائى ، فقد سمع عمر بن أبى سلمة يقول : كنت غلاماً في حجر رسول الله

(١) النيسابورى ، المستدرک على الصحیحین ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٧.

( صلى الله عليه وسلم ) ، وكانت يدي تطيش في الصحفة (إناء الطعام) فقال لي رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) : يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك " (١) وقال : " وإذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء " (٢) وقال أيضا " تنزل البركة وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه " (٣) كل هذه آداب للطعام ، تكسب الإنسان إذا ما ربي عليها ، عادات الضبط والانتظام والحساسية الاجتماعية في تناول الطعام ، وهو جزء من العمل على الحد من الشهوة للطعام لمجرد إشباعها فقط ، ويمكن استنتاج آداب الطعام كما وردت في الأحاديث السابقة كما يلي :

١. التسمية في أول الطعام .
٢. أن لا يملأ بطنه بالطعام .
٣. لا يعيب المسلم طعاما .
٤. على المسلم أن يأكل مما يليه .
٥. الاجتماع إلى الطعام .
٦. التنفس في أثناء الشرب خارج الإناء .
٧. كراهة الشرب من فم القربة ونحوها .
٨. أن يحمد الله في آخر الطعام والشرب .
٩. القناعة في الطعام .
١٠. نظافة الأنية قبل الطعام وبعده .

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .  
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٣٣ .  
(٣) النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٩ .

هذه النصائح النبوية لو طبقت لما أصبح إنسان العصر الحديث يعاني من الأمراض الكثيرة إنها تربية بيئية سليمة تدرك الأفراد إلى حياة صحية سليمة بعيدة عن العلل والأوبئة.

واليوم وبعد التقدم الهائل في وسائل الطب والتكنولوجيا ينادى العلماء بالرجوع إلى التداوى بالأغذية حتى إن هناك مقولة تقول " اجعل غذاءك دواءك " .

فقد قرر العلامة أبو بكر الرازى في القرن التاسع الميلادى مبدأ هاماً في العلاج حيث يقول: (إذا قدرت أن تعالج بالأغذية ، فلا تعالج بالأدوية ، وإذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد ، فلا تعالج بدواء مركب) ولذلك سارع الخلفاء العباسيون إلى تنظيم مهنة الطب والصيدلة ولم يسمحوا إلا لمن حصل على ترخيص بمزاولتها ولا يحصل على هذا الترخيص إلا من أدى امتحانا أمام لجنة الحسبة التي تشكلها الدولة<sup>(١)</sup> .

وفي تطبيق للعلاج بالأغذية يوضح الباحث عبد الكريم التاجورى أهمية العلاج بالتلبينة وهذا مستنبط من حديث رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) قد قاله منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان يحدثنا فيه عن دقيق الشعير بنخالته وأهميته يطابق تطابقاً غاية في الدقة ما توصل إليه العلماء في الجامعات ، "فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت كلن منها فإنني سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) يقول : "التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن"<sup>(٢)</sup> . وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك وكانت تقول إني سمعت رسول الله ( صلى الله عليه

(١) محمد عبد القادر الفقى ، مرجع سابق، ص ١٥٤ .

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق، ج ٥ ، ص ٢٠٦٧ .

(وسلم) يقول ثم إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن" (١) و"عن عائشة (رضى الله عنها) أيضا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عليكم بالبعيض النافع التلبين يعني الحسوقالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى يلقي أحد طرفيه يعني يبرأ أو يموت" (٢)

"كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا قيل له إن فلانا وجع لا يطعم الطعام قال: عليكم بالتلبينة فحسوه إياها فوالذي نفسي بيده إنها لتغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم وجهه بالماء من الوسخ" (٣).

وكذلك قالت (رضى الله عنها) أيضا ثم كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع ثم أمرهم فحسوا منه وكان يقول إنه ليرتق فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو إحدانك الوسخ بالماء عن وجهها" (٤)  
التلبين : "هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن ومنه اشتق اسمه" (٥).

"قال ابن القيم : وهذا الغذاء هو النافع للعليل ، وهو الرقيق النضيج ، لا الغليظ النيبى ، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير ، بل هي ماء الشعير لهم فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته والفرق بينه وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحا والتلبينة تطبخ منه مطحونا وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن وقد تقدم أن للعادات تأثيرا في الانتفاع بالأدوية والأغذية وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونا لا صحاحا وهو أكثر تغذية وأقوى فعلا وأعظم جلاء وإنما اتخذ أطباء

(١) المرجع سابق، ج٥، ص٢١٥٤.

(٢) أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج٦، ص١٣٨.

(٣) المرجع السابق ، ج٦، ص٧٩.

(٤) الإمام الترمذى ، مرجع سابق، ج٤ ، ص٣٨٣.

(٥) ابن منظور ، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٧٦.

المدن منه صحاحا ليكون أرق وألطف فلا يثقل على طبيعة المريض وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها وثقل ماء الشعير المطحون عليها" (١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الرسول الكريم يعرف علاج الكثير من الأمراض عن طريق الغذاء وليس الأدوية المكلفة وهي غير صحية وقد قرر الرسول وأكد على نظافة الغذاء من بداية صنعه وحتى عند أكله فقد أمر الرسول الكريم بنظافة اليد قبل الأكل وبعده وكذلك استخدام السواك وقص الأظافر وغير ذلك من الأمور التي تدعو إلى نظافة الغذاء وهو ما يتناوله الباحث في الفصول التالية عند التحدث عن النظافة الشاملة لجسم الإنسان.

ومن خلال ما سبق لابد من اتباع الإرشادات التالية في ضوء السنة النبوية بما يتناسب مع العصر الحالي :

١. يجب الاهتمام بالنظافة الشخصية وغسل الأيدي بالماء النظيف والصابون قبل تجهيز الطعام والتأكد من نظافة وغسل أدوات وأماكن إعداد الطعام في كل مرة قبل استخدامها لتجهيز غذاء جديد وذلك لتفادي انتقال مسببات التلوث من الغذاء إلى الآخر.
٢. يجب غسل الخضر والفاكهة غسلا جيدا مع استخدام فرشاة غسيل خاصة – ويفضل نقعها لمدة معقولة في الماء الجاري – مع تقشير الخضر والفاكهة القابلة للتقشير مثل : البطاطس والخيار والكوسة والجزر والتفاح ... إلخ حيث سيؤدي ذلك إلى تقليل التلوث بالميكروبات والمبيدات والمعادن الثقيلة .

(١) عبد الكريم التاجورى ، مرجع سابق، ص ١١ .

٣. ينصح بإزالة تجمع الدهون في كل من اللحوم والدواجن حيث ثبت أن بقايا المبيدات تتركز في الدهون ولذلك يجب التقليل من استهلاك المناطق الغنية بالدهن .
٤. ويفضل عند طهي الطعام أن يتعرض لدرجات حرارة عالية ولمدة طويلة لضمان التخلص من جزء كبير من مسببات التلوث .
٥. ينصح بالتركيز على استهلاك الأغذية الطبيعية مثل التلبينة التي أرشد عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والإقلال قدر الإمكان من الأغذية المضاف إليها مكسبات الطعم والرائحة والصبغات الصناعية غير المصرح باستخدامها.
٦. يفضل التأكيد على نظافة خزانات المياه بصفة دورية كل شهر حيث تعتبر مناطق لتجمع مسببات تلوث المياه ، لذلك يفضل الرقابة على خزانات الماء لتقليل التلوث الميكروبي وينصح باستخدام مرشحات المياه ( الفلتر) مع ضرورة تنظيفها صباح كل يوم .
٧. كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى حفظ الطعام وتخميده وبتطبيق ذلك في العصر الحاضر يراعى في حفظ الطعام وأنواع الأغذية المختلفة في الثلاجة والفریزر ما يلى :-
  - وضع الفاكهة والخضر بدرج الثلاجة قبل الاستهلاك وذلك لوقف نمو ما قد يكون بداخلها من يرقات الحشرات والتقليل من أضرارها .
  - عدم تجميد وتليين اللحوم والدواجن والأسماك أكثر من مرة ويفضل وضعها في عبوات نظيفة بعد تجزئتها إلى أجزاء صغيرة مناسبة بحيث يمكن طهيها وهي مجمدة مباشرة .

- تناول الخبز المحفوظ في الفريزر أو الثلاجة بعد خروجه مباشرة وذلك تلافيا لتعرضه للعفن وعدم استهلاك أى جزء منه مصابا بأية نموات خضراء أو سوداء أو بيضاء .
- تفادى حفظ الأطعمة الطازجة مع الأطعمة المطهية أو السابق إعدادها مع مراعاة تنظيف أو تغطية كل منها على حدة .

١. يقرر الرسول الكريم أن الطعام له غايته وهي بناء الجسد بالقدر الذي يحتاجه الجسد على أن لا يخضع الإنسان لشهوة الطعام ويصير عبدا لها .

٢. كما يقرر أيضا ( صلى الله عليه وسلم ) أن الطعام له آدابه التي يتضافر العقل مع الجسم في التحكم فيها بناء على الضوابط التي يربى عليها الإنسان والتي حددتها السنة النبوية .

### مشكلة التلوث الأخلاقي؛

هناك حقيقة هامة هي: مجتمع بلا أخلاق يساوى بناء بلا أساس وهذه حقيقة ومسلمة تفرض نفسها، وتملى على الإنسان أن يراجع نفسه فيما يدرس وفيما يتعلم وفيما يتصرف، والتربية سلوك قبل أن تكون مجرد معلومات نردها دون فهم وتطبيق .

والتقويم في المدارس والجامعات يؤكد على ما هو معرفي ويتجاهل أهم ما في النفس البشرية وهو الجانب الوجداني والذي تعتبر الأخلاق ضمن أبعاد هذا الجانب وليس لها مكان ضمن درجات الطلاب على مستوى المراحل التعليمية، وتلك هي الحقيقة الحاضرة والغائبة في نفس الوقت .

ومع كل يوم يمر كانت وسائل الإعلام تطالع البشر بنشر جرائم مختلفة بعضها يتمثل في التعدي على البيئة في صور مختلفة ( منها ما يتعلق بتهديد صحة المواطنين ويهدد

الأمن القومي ) والسؤال لماذا كل هذا والإجابة مرجعها إلي غياب الضمير وغياب الخلق وتلوث الخلق هو الأساس في كل ما يحدث من مخالفات وحتى تتضح الحقيقة علينا أن نعرض لكم أبعادها .

ويعد التلوث الخلقي من أخطر أنواع التلوث على الإطلاق ، ذلك لأن مسألة السلوك الأخلاقي تعد بمثابة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني ، فهي القوة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها التعبدية والتعاملية ، ومن هنا فإن افتقاد الإنسان للسلوك الأخلاقي الطيب ، ينعكس وبصورة سلبية على تعاملاته فربما يكون سببا في إحداث أي نوع من أنواع التلوث في البيئة التي يعيش فيها ، ولأن البيئة النظيفة تحتاج إلى إنسان لديه من القيم الخلقية ما يجعله يغار على تلك البيئة ويسعى جاهدا للمحافظة عليها ، بإذلا جهده ووقته وماله من أجل خدمتها والدفاع عنها .

وعلم الأخلاق نظري وعملي ، "والنظري هو المسمى بـ "فلسفة الأخلاق" أو "علم الأخلاق النظري" ، وهو من علم الأخلاق العملي بمنزلة أصول الفقه من الفقه ، فهو شأن الخواصّ والمجتهدين، ولا يطلب من غيرهم إلاّ كما تطلب النافلة بعد تمام الفريضة. ولذلك لا نجد له من الأقدمية، ولا من الشمول ما لعلم الأخلاق العملي" (١)

والفرق بينهما أيضاً "أن علم الأخلاق العملي نفسه هو أيضاً من قبيل النظر لا العمل، وإن كان العمل مادته كما هو مادة العلم النظري، مع هذا الفارق الوحيد بينهما: وهو أن العمل الذي هو موضوع العلم العملي أنواع من الأفعال لها مثال في الخارج، كالصدق والعدل ونحوهما؛ بينما موضوع العلم النظري هو جنس العمل المطلق، وفكرته المجردة، التي

(١) أحمد كفتارو ، " دور الاجتهاد في الفكر الإسلامي " ، الإسلام والقرن الحادي والعشرون ، المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة في الفترة من ٢-٥ يولية ١٩٩٨ م ، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٩م) ، ص ١١ .

لا يتحقق مسماها خارجاً إلا ضمن الأنواع التي يبحث عنها العلم العملي، تلك الأنواع التي تعد من قبيل الوسائل لتحقيق الخير المطلق، أو الفضيلة الكلية التي يبحث عنها العلم النظري. وهكذا يمكن اعتبار القسم العملي "فنًا" أي: علماً تطبيقياً بالنسبة للقسم النظري ويمكن اعتباره في الوقت نفسه "علماً نظرياً" بالقياس إلى ضروب التخلف، وأساليب السلوك؛ التي هي التطبيق الفعلي الحقيقي لقواعد ذلك العلم "فالأخلاق في جانبها العملي أمر مكتسب يخضع للممارسة والتعود حتى يتطابق مع النظري المجرد".<sup>(١)</sup>

وإذا كانت التربية تتناول قوى الإنسان وملكاته فإن عمل الأخلاق هو توجيه هذه الملكات والأعمال نحو الاستقامة، وجعلها عادات سلوكية راسخة، لذلك كله فإن إعداد الشباب إعداداً حُلُقياً يحتاج إلى أن نحدد أولاً الأهداف التي نسعى إليها ثم الوسائل الموصلة إلى الأهداف.

### أهداف الإعداد الخلقي للشباب<sup>(٢)</sup>؛

١- تغيير اتجاهات الشباب النفسية والفكرية المتعارضة مع السلوك الاجتماعي المرغوب فيه إلى التغيير المرغوب فيه، والمتناسب مع عقيدة المجتمع، وقيمه، ومظاهر سلوكه الخلقي؛ وهذا يقتضي إزالة التناقض بين الأنظمة والقوانين المسيرة للحياة من ناحية ورغبات المجتمع وتطلعاته وآماله المستمدة من عقيدته أخلاقه من ناحية أخرى حيث تعاني مجتمعاتنا من تباين القوى والعوامل المؤثرة فيه، والموجهة لسلوك الشباب؛ حيث تتعدد الاتجاهات السلوكية وتتعارض كثيراً.

(١) صلاح عبد السميع عبد الرازق، التلوث الأخلاقي. ٢٠٠٣/٨/١٥م

Available [ online] www. Slah.jeeran.com .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب، التأسيس الإسلامي للعلوم الاجتماعية: المفهوم - المنهج - المداخل - التطبيقات، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٦م)، ص ١٥٢.

٢- ربط التقدم الاقتصادي، والتكيف الاجتماعي بالأخلاق، فالتقدم الاقتصادي لا يعتمد على ما تملك الأمة من إمكانيات مادية، وقوى بشرية متعلمة مدربة فحسب، بل على ما يتحلى به الأفراد العاملون المنتجون من سلوك أخلاقي يحكم علاقات الإنتاج، ويحقق التعاون، ويعمق الإحساس بالمسؤولية، ويصون الحقوق العامة والخاصة، ثم ما يساعد الأفراد على زيادة التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي في المجتمع.

٣- تحقيق التوازن بين القيم الأخلاقية النظرية والقيم الممارسة في المجتمع، والأخذ من العادات والتقاليد بما يتمشى مع قيم الإسلام الثابتة؛ التي يتطور الناس ليرتقوا إليها وليمارسوها في صور أفضل من ممارستها في أجواء الجهل والتخلف. وهذا التوازن هو الذي يحقق ما يسمى بالتكيف مع المتغيرات، ويساعد على إعادة النظر في العادات والتقاليد الاجتماعية لتتطابق كلها مع قيم الحياة التي يتطور الناس حولها، ويغيرون من أساليبهم وطرقهم لملاءمتها.

### علاج مشكلة التلوث الأخلاقي من منظور السنة النبوية :

إن الإنسان هو المسئول الأول عن تلوث البيئة بجميع أنواعها ولكن هناك مشكلة اجتماعية لم تحظَ باهتمام الكثير من المهتمين بشئون البيئة أو التربية البيئية ألا وهي مشكلة التلوث الأخلاقي.

إن التلوث الأخلاقي من أخطر المشاكل البيئية فهي تعرض المجتمع للفقر المدقع واحتباس المطر وانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة والجذب وتسليط الأداء وإثارة الحروب وإخلال التوازن النفسى والاجتماعى وبالتالي البيئى في المجتمع والدليل نجده في الحديث النبوي الشريف فقد روى عن عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن

تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فىهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا الهائم لم يمطروا ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم وما لم تحكم أممتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم. (١) ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" (٢) وبذلك يشاهد فى الحديث النبوي الشريف مدى ارتباط التلوث الأخلاقى بالفساد فى المجتمع والبيئة ، فعدم وجود أخلاق أذل الأفراد اجتماعيا وبيئيا ومن خلال الحديثين السابقين يتبين أن :-

- ١- انتشار الفاحشة والرذائل يؤدى إلى الإصابة بالأمراض المختلفة ومنها الطاعون والأمراض التى لم تكن موجودة من قبل وهذا واضح فى العصر الحالى من انتشار مرض الإيدز وهذا المرض السبب الرئيسى فى حدوثه هو انتشار الفاحشة والزنا والاتصال الجنى المحرم والشاذ مما أنزل الله عليهم مرضا جديدا لم يعرف من قبل وهو الإيدز ( أو فقد المناعة الطبيعية ) إلى أن يتوبوا ويعودوا عما فعلوا .
- ٢- كما أن من أمراض العصر الغش بأشكاله المختلفة وهو يعد تلوثا أخلاقيا ومن أبرز صور الغش النقص فى الميالك والميزان فالله ( سبحانه وتعالى ) يصيب هؤلاء بنقص فى الأموال والطعام بالإضافة يسلب عليهم ظلم الحكام .

( ١ ) الإمام القزوينى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .  
( ٢ ) الزرقانى ( محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقانى ، ت ١١٢٢هـ ) ، شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك ، ج ٣ ، ( بيروت : دار الكتب العملية ، ١٤١١هـ ) ، ص ٤٤ .

- ٣- وإذا منعوا زكاة المال -وهي الأموال التي تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء بمقدار وقواعد معينة وهي في خير المجتمع وصلاحه - أصابهم الله بالجدب وقلة الأمطار ولولا وجود كائنات أخرى في الأرض لما أنزل الله المطر وجعل هناك حياة.
- ٤- كذلك نقض عهود الله وموآثيقه وأحكامه يؤدي بالناس إلى تسليط الله عليهم عدوا يأخذ أموالهم ويصيبهم بالذلة والمهانة لأنهم نقضوا عهود الله وأحكامه .
- ٥- وأيضا عند يلجأ الأفراد إلى قوانين وضعية لا تمثل روح الإسلام والإيمان جعل الله بأسهم بينهم فيقتلون بعضهم البعض لأن هذه القوانين ناشئة عن الهوى وليس فيها حكم الله الذي يعلم حالات الإنسان في باطنه وظاهره.
- \*كما أن معيار الاهتمام بالبيئة في العصر الحالي يتمثل بالدرجة الأولى في وجود مجموعة من القيم الخلقية التي يتمثلها الإنسان ويعبر عنها في سلوكه ، وعلى سبيل المثال فإن قيمة النظافة تجعل الإنسان يمتنع عن إلقاء المخلفات في الشارع أو في أي مكان من الأماكن غير المخصصة لإلقاء تلك المخلفات ، وهو على قناعة بما يفعل .
- \*كذلك فإن الصدق كقيمة وفضيلة من الفضائل الهامة التي يتمثلها الإنسان تجعله لا يكذب أبدا مهما كانت الظروف والمبررات إلا في المواقف التي سمح فيها الشرع بالكذب والتي حددها لنا الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وهي ( الإصلاح بين المتخاصمين وفي الحرب ، والرجل على زوجته لتدوم العشرة بينهما ) فعن أسماء بنت يزيد "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطب فقال: ما يحملكم على أن تتابعوا على الكذب كما يتتابع الفراش في النار، كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب في خديعة حرب أو إصلاح بين اثنين، أو رجل يحدث امرأته ليرضيها"<sup>(١)</sup> .

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج٦، ص ٤٥٤ .

والصدق يهدى إلى الإصلاح فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً"<sup>(١)</sup> ومن خلال الحديث السابق يتبين أن الصدق في القول والعمل يهدي إلى طريق الخير فإذا تناول المسلم قضايا البيئية بنوع من الصدق مع نفسه ومع الآخرين والصدق مع المسؤولين عن شؤون البيئة قد يؤدي ذلك إلى صلاح هذه البيئة أما الكذب ووضع الرأس في الرمال كالنعامة فإنه يؤدي إلى تدمير البيئة وانهارها .

وعن أهمية الخلق فقد أشاد الإسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تربيته في المسلمين وتنمية نفوسهم ، وفي ذلك نجد الحق تبارك وتعالى قد أثنى على النبي (صلى الله عليه وسلم) بحسن خلقه فقال :

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾) [القلم:٥].

كما " سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: أحسنكم خلقاً"<sup>(٢)</sup>. كما "لقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله قال: عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما"<sup>(٣)</sup> فالخلق مقياس صحبة رسول الله يوم القيامة وهي الطريق الذي يؤدي بالناس إلى الجنة فإذا تعامل الفرد

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢١ .

(٢) الإمام أبو بكر الهيثمي ، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣ .

(٣) الإمام أبو بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

مع بيئته بحسن الخلق سواء كانت هذه البيئة حية أو غير حية فإنه يؤدي لا محالة إلى بيئة نظيفة خالية من الأمراض .

إن الأخلاق الإسلامية عنوانها الرحمة . الرحمة من الإنسان لأخيه الإنسان والرحمة من الإنسان للحيوان فلا يجهده ، أو يحمله فوق طاقته ، وقصة المرأة التي نص عليها الحديث على أنها عذبت بهرتها مشهورة ، فهي لم تطعمها ولا تركتها تأكل من خشخاش الأرض . والرحمة تكون من الإنسان للطبيعة فلا يعبت بثرواتها التي هي خيرات أمده الله بها . ويكفي أن نعلم بأن عدم التفريط بالثروة وصل لدرجة عدم الإسراف بالماء عند الوضوء حتى لو كان المسلم يتوضأ من ماء نهر جار ، والرحمة مطلوبة أيضا من الإنسان لنفسه ، فلا يطلب منه أن يحمل ما لا يطيق ، فالقاعدة .

( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..... )<sup>ع</sup>

[سورة البقرة من الآية : ٢٨٦].

إن الحاجة تبدو ماسة اليوم أكثر من أي وقت مضى للالتزام بالخلق الإسلامي من أجل الخروج بالبشرية كلها إلى ساحة الإنقاذ بعدما أفستت الفلسفات الوضعية ذات المنحى المادي القيم في معظم الأمم المعاصرة ، وشوهت صورة الأخلاق مما جعل الناس يتخبطون بما نراه اليوم من فساد ، وانتشار للردائل ، وانهايار شامل في القيم والمثل .

ولقد جاءت الأديان كلها بالدعوة إلى الإعداد الخلقى للناس، وجعلته على قمة أهدافها التوجيهية والتربوية، وقد أكد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) هذا المعنى في قوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق ، ج٨ ، ص١٨٨ .

وباب الأخلاق باب كبير في السنة النبوية، وقبلها في القرآن الكريم، وقد اختلف العلماء في مفهوم الأخلاق، وعرفوها تعريفات مختلفة؛ غير أنهم جميعاً يتفقون في صلة الأخلاق بالسلوك.

وأهمية الإعداد الخلقي للشباب أن الأخلاق مجالها الحياة كلها، وسلوك الإنسان كله، وعلاقاته بربه وبنفسه وبالآخرين؛ بل وبالمخلوقات كلها.

فالإعداد الخلقي للشباب هو الذي يجعل من الصفات الحسنة، كالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء، والشجاعة والعفة، والمروءة والعدل وغيرها عادات في سلوك الشباب وحركته الدائبة، كما تجعله نافراً في سلوكه اليومي من الصفات السيئة، كالحسد والحقد والخيانة والكذب، والظلم والغدر وغيرها، وبهذا الإعداد يتجنب الشباب مظاهر غير مرغوبة في السلوك الإنساني، كالحمق والتكبر، والصلف والتهور، والخوف والجزع، وقبول الذل والمهانة، والخشونة والغلظة في معاملة المؤمنين.

إن المتأمل في واقع المجتمع في العصر الحالي ليلمس وبكل سهولة مدى التدهور الأخلاقي وانعدام العديد من القيم التي كانت تميز ذلك المجتمع، حيث نرى انتشار الكذب بصورة كبيرة وانتشار الرذيلة، بل لقد أصبح الحياء عملة نادرة، وانتشر التهور بين جموع الشباب، وغاب التوقير والاحترام داخل الأسرة، وتقطعت الأرحام، وقل الإخلاص.... الخ من المظاهر التي تعبر عن التدهور الأخلاقي.

ولعل الحديث عن مظاهر التلوث البيئي والتي منها على سبيل المثال ( تلوث الماء - تلوث الهواء - التلوث الغذائي - التلوث الضوضائي ) يرجع السبب المباشر في حدوثها إلى الإنسان، ولو أحسن تربيته تربية أخلاقية بمفهومها الشامل لما أقدم على فعل ذلك، وبذلك يرجع علاج المشكلات السابقة والتالية إلى مقدار ما يتمتع به الإنسان

من خلق قويم قادر على التعامل مع بيئته بحسن الأخلاق سواء أكانت هذه البيئة الطبيعية حية أم غير حية .

ولهذا وجب علينا أن نركز على دراسة السبب الأساسي وراء تلوث البيئة قبل أن ندرس مظاهر التلوث ، والسبب المباشر يتمثل في عدم وجود تربية أخلاقية ، وبالتالي وجود تلوث خلقي .

ومن خلال ما سبق يمكن الاسترشاد من خلال السنة النبوية في إعداد الشباب إعداداً أخلاقياً عن طريق البيئة الاجتماعية: حيث تبنى العلاقات بين الأفراد على أساس من السلوك الحسن والاحترام المتبادل، والتعود على الفضائل سلوكاً وتعبداً، مثل: الإخلاص والأمانة، والمحبة والجد، والنظام والتعاون، والإخاء، والمودة والاحترام، والاعتماد على النفس والرحمة، والشفقة وغير ذلك لتكون البيئة عاملاً موجهاً لسلوك الأفراد، وميولهم، وغرائزهم وكل ذلك في نطاق التعاون بين بيئات التربية الثلاث: المدرسة - المسجد - المجتمع.

فالأُسرة هي التي تغذي الصغار بالصفات الخلقية الحسنة عن طريق الممارسة اليومية، والسلوك الخلقي الحسن للوالدين، وترجمتهما لمعاني المسؤولية والصدق والأمانة؛ ليعرف الطفل الأخلاق سلوكاً طبيعياً عملياً قبل أن يعرفه في معانيه المجردة. أما المسجد فهو مكان الإشعاع الروحي والثقافي الذي يصوغ سلوك الناس فيه بما يناسبه من نقاء وظهر، وعفاف وتجرد، وانضباط والتزام.

### المنهج الدراسي:

وللمنهج وسائله المباشرة وغير المباشرة في تربية الأخلاق، فالدروس الخاصة بالتربية الخلقية والتي تهدف إلى تعلم الفضائل، وتحض على العادات الطيبة والسلوك الحسن وسائل مباشرة، أما تهيئة الجو المدرسي الذي يتبادل فيه الطلاب التجارب

الحسنة، والخبرات الطيبة، ويتدربون فيها عملياً على ممارسة سلوك الفضيلة والخير والحق فى بيئة اجتماعية صالحة موجهة فهذه هى الوسائل غير المباشرة أو العملية التى تعد أكثر نفعاً وأعظم جدوى من تعليم الأخلاق نظرياً لأن علم الأخلاق ودراسته شيء، وممارسته فى السلوك اليومي شيء آخر.

### الاتجاه العلمى

فى إبراز محاسن الأخلاق الفاضلة، ومضار السلوك السيئ فى حياة الأفراد والأمم، وذلك بالاستفادة من نتائج البحوث العلمية فى مجالات علم النفس والاجتماع والفلسفة والطب، والتى أثبتت آثار السلوك الحسن والسلوك السيئ بما لا يدع مجالاً للمغالطة أو الإنكار؛ وقد اعتادت الأمم أن تنشر إحصاءات مفصلة عن الجريمة ودواعيها والمسكرات والمخدرات، وأنواع الانحراف والشذوذ المختلفة، ونتائج ذلك كله على أوجه الحياة المختلفة، اجتماعياً، واقتصادياً، وبشرياً.

### الرفقة الحسنة:

إذ أن الفرد يتأثر بمن حوله كما يتأثر بما حوله من بيئة يعيش فيها، وأسرة ينشأ فيها، ولذلك شبّه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الجليس الصالح ببياع المسك، والجليس السوء ببنافخ الكير، فكلاهما مؤثر فى صاحبه، والإنسان بطبعه مقلد لأصدقائه فى سلوكهم ومظهرهم، وملبسهم فمعاشرة الأبرار والشجعان تكسب الفرد طباعهم وسلوكهم، بينما تكسب معاشرته المنحرفين الفرد انحرافهم أو تقبل انحرافهم.

دراسة سير الأنبياء والرسل والأبطال والنابعين فى ميادين العلم والمعرفة، والقتال والحرب، وعلى رأس ذلك دراسة سيرة سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه؛ باعتباره

القوة الأولى للبشرية، لأن دراسة هذه الشخصيات هي التي تبعث الروح الخيرة في الناشئة وتجسد فيهم معاني التضحية والفداء في سبيل المثل العليا، والمبادئ السامية.

كما أن دراسة هذه النماذج تساعد المنظمات الموجهة للشباب في تطبيق السلوك الأخلاقي والاجتماعي بما يؤكد القيم الأخلاقية المرغوبة، وبما يحقق التوازن بين عطاء الأسرة والمدرسة والمجتمع؛ في النواحي السلوكية والأخلاقية.

توحيد جهود الوسائل التربوية المتمثلة في البيت، والمدرسة، والراديو، والمسرح والتلفزيون، والكتاب، ومنظمات الشباب، فإذا كانت المدرسة أو كان البيت قائماً بالتربية الخلقية، والمؤسسات الأخرى تقوم بما يعكسها فلا قيمة لجهد البيت أو المدرسة.

إن المدرسة هي أخطر مؤسسات التربية أثراً في حياة الناشئة؛ لما يمكث الطالب في التعليم من سنوات الصبا والشباب غير أن دور المؤسسات الأخرى لا يقبل عنها؛ حيث أصبحت كلها مراكز نفوذ وتسلط، واختراق للحواجز والبيوت، الأمر الذي يؤكد حتمية توحيد هذه الجهود منهجاً وتخطيطاً في سبيل تربية شباب الأمة على الخلق الجميل والسلوك الحسن المرغوب فيه..

### مشكلة الفقر:

الفقر إحدى المشكلات البيئية الهامة والتي لم يكن ينظر إليها فيما مضى على اعتبارها مشكلة تمس البيئة من قريب أو من بعيد ولكنها الآن أصبحت تحظى بالاهتمام كمشكلة بيئية دولية وليست محلية فجميع دول العالم تنقسم إلى قسمين إما دول غنية وإما دول فقيرة.

وترجع أهمية الفقر كمشكلة بيئية إلى ما ينجم عنها من آثار سيئة على الصحة النفسية والصحة العامة ويظهر ذلك في صور من السخط والقلق كنتائج طبيعية من سوء

المسكن والتغذية وتفشى نسبة الأمية وما يستتبع ذلك من أخطار سيئة على الاقتصاد والإنتاج والأخلاق، كما أن الآثار السيئة الفقر لا تقتصر على الفرد وإنما تمتد لتشمل الجماعة فتهدد أمنها وتحيل المجتمع إلى أفراد يتميزون بالعدوان والكراهية للغير .

وليست من المبالغة القول بأن الفقر سبب رئيسي للعديد من المشكلات البيئية الأخرى واضرب لذلك مثلاً لدولة فقيرة ، هل فى استطاعة هذه الدولة أن تنفق على التخلص من النفايات أم أنها تبحث عن طعام يسد رمق أفرادها ؟ بالطبع الإجابة للفرض الثاني . كما أن الدول الفقيرة غالباً ما تكون مصدر لاستيراد اللحوم الفاسدة والأطعمة ذات درجة جودة ضعيفة ، حيث إنها غير قادرة على استيراد المواد الغذائية السليمة لأن أسعارها مرتفعة للغاية ، كما أن الدول الفقيرة تعتبر ملجأً للدول الغنية فى دفن نفاياتها والأدهى من ذلك دفن نفاياتها النووية ذات الخطر الكبير على البيئة حيث تصدر من هذه النفايات ملوثات خطيرة قد تؤدي بالبيئة إلى دمار شامل كل ذلك من أجل حفنة من الموال لتسد رمق شعوبها فى الغذاء ولو أدركت الحقيقة لاختارت الجوع والحرمان أفضل من دفن نفاياتها النووية ذات الإشعاعات المميتة.

وإذا تركنا الجانب الدولي واتجهنا إلى الجانب المحلي ، وجد أن الفقر سبب رئيسي فى تصدع بنية الأسرة وانفراط عقدها وهو مرهون بتصدع تلك القيم فى نفوس أفرادها ثم لم يلبث هذا الخطر أن يواصل الزحف على الأمة محطماً ومدمراً وترتبط تلك الآثار السيئة بالفقر ارتباطاً وثيقاً بسوء توزيع الثروة مع احتكار القلة العاطلة الخاملة النصيب الأكبر على حساب الكثرة الكادحة العاملة .

فالفقر مع الإحساس بالظلم يورث الحقد والبغضاء للذين يوقدان فى القلوب نار العداوة التى تأتى على الأخضر واليابس فضلاً عما تحدثه من إضعاف عاطفة الانتماء

للوطن إلى حد القضاء عليها كما تدفع الأفراد إلى حالة اللامبالاة فهي إذا مشكلة المشاكل التي تقف حجر عثرة تسد الطريق أمام محاولات إصلاح الأوضاع الفاسدة أو تعديل الموازين الجائرة والعدالة المرجوة والتكامل الإنساني المنشود ولا حل لها إلا في مقررات الدين الإسلامى الحنيف ومناهجه ذلك لأن لب هذا الدين وجوهه إنما هو في تحرير الإنسان من رق الفقر والعوز وإقرار حقه في الحياة الحرة الكريمة ، من منطلق إرساء دعائم التكافل الاجتماعي.

### علاج مشكلة الفقر من منظور السنة النبوية:

إن الفقر من الآفات المصرة بيئياً على المجتمع فقد يؤثر الفقر على العقيدة والإيمان ويحدث اللامبالاة وعدم احترام الوطن والبيئة التي يعيش فيها الإنسان فالفقر يورث العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع مما يفسد البيئة سواء الاجتماعية أم الطبيعية فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) "اللهم إني أعوذ بك من الفقر وأعوذ بك من القلة والذلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم"<sup>(١)</sup> وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "كاد الفقر أن يكون كفراً"<sup>(٢)</sup> وقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أى الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قال ثم أى قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك"<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال الأحاديث السابقة نستنتج أن الفقر هو مرض الشعوب النامية وهو مرض تفتشى في الدول التي لا تطبق شرع الله حيث ينتشر الربا والرشوة مما يجعل الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقراً وقد أمر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بمحاربة الفقر

(١) أحمد بن شعيب، المجتبى من السنن (سنن النسائي)، (ج ٨، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦)، ص ٩٤.

(٢) القضاعى (محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعى، ت ٤٥٤هـ)، مسند الشهاب، تحقيق: حمدى بن عبد المجيد السلفي، ج ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م)، ص ٤٢٣.

(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٠.

بكل الوسائل الممكنة مع الاعتماد على الله فهي دعوة للعمل وكسب الرزق وعدم الاتكالية والتواكل فقد قال (صلى الله عليه وسلم) "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" (١) وقال "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام ، كان يأكل من عمل يده" (٢) وما أكثر الأحاديث التي تتناول موضوع العمل وأهميته في محاربة مشكلة الفقر ، مما يدل على حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعلاج هذه المشكلة عاجلا سريعا .

ومع ذلك فقد قرر الإسلام شريعة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام ألا وهي الزكاة والتي تعتبر الحل الأمثل لمشكلة الفقر فالزكاة مبلغ معين يعطى إلى الفقراء من قبل الأغنياء وفقا لشروط ملزمة على الأغنياء ويعتبر من يخالفها فقد أخطأ في حق الله واعتبرت ذنبا كبيرا يستوجب المغفرة فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنيائهم...." (٣) وقال : "لا صلاة لمانع الزكاة - قالها ثلاثا - والمتعدي فيها كمانعها .. والمتعدي فيها هو الذي يدفعها لغير أهلها" (٤).

ولقد أثبتت الدراسات والتجارب في دول العالم ، ولاسيما الدول الكبرى - أن الحد من ظاهرة التضخم المالي تتطلب اتباع سياسة منهاج الإسلام وتشريعاته ، وأن الزكاة تلك الفريضة الإسلامية التي تدعو للتقارب بين طبقات الأغنياء والفقراء هي وسيلة ناجحة

(١) المرجع السابق ، ج٤ ، ص٢٥٢ .

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٣٧٠ .

(٣) الطبراني ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٤٩ .

(٤) الإمام الربيع ( الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ) ، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ، تحقيق : محمد إدريس وعاشور بن يوسف ( سلطنة عمان : مكتبة الاستقامة ، ١٤١٥ هـ ) ، ص١٣٨ .

للمساعدة على الحد من التضخم المالى ؛ حيث إن الزكاة عندما تعطى للفقراء تعتبر انتقالا للمنفعة المالية ، وبالتالي تزيد القيمة الحقيقية للمال ؛ لأن المال عندما يزيد مع الفرد تبعد القيمة النقدية لديه عن حد المنفعة ، فيستخدم كثيرا من المال فى كماليات هذه الحياة ، على العكس من الفرد الذي يمتلك مالا أقل ، فهو ينتفع بكل أمواله فى الاتجاه الصحيح قدر الإمكان .. وهكذا عندما ينتقل المال بهذه الصورة من الغنى إلى الفقير ، فإن ذلك سيؤدى إلى زيادة القيمة الحقيقية للنقد وهذا معناه الحد من التضخم والزكاة - أيضا - تؤدى إلى النمو الاقتصادي للفرد ، حيث إن الإسلام قد رفض اكتناز المال ، بل حارب أصحابه إذا اكتنزوه ؛ وبذلك تدفع الزكاة أصحاب المال لاستثمار أموالهم ؛ حتى تدر عائدا يمكنهم من أداء تلك الفريضة وإلا تأكل رأس المال بلا نفع أو جدوى .

ولذلك حثت السنة النبوية على استثمار المال فى العمل والإنتاج ؛ لأنه سيعود على المجتمع كله بالقوة والثراء ؛ لأن تنمية المال بالاستثمار ستزيد من عدد المنفعين بالزكاة والصدقات ، فضلا عن إتاحة فرص عمل جديدة ودخول إضافية لمن يعملون فى ماله وبالتالي يعود النفع على صاحبه وعلى المجتمع ؛ لأن احتياجاته ستصبح موفرة .

ومن ثم فقد أباح الإسلام لولى الأمر أن يتدخل للحيلولة دون تعطيل الأموال وتوجيهها إلى فرص الاستثمار ، وهناك التطبيق العملي لهذا الحق والذي يتمثل فى موقف عمر بن الخطاب من أرض العتيق التي أقطعها الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) من أهمل استزاعها ، فاستعاد منه عمر مالم يقدر على استزاعه ووزعه على من يقدر من المسلمين على إحيائه <sup>(١)</sup> وعمر بن الخطاب يستند فى ذلك إلى حديث الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) : " من أعمار أرضا ليست لأحد فهو أحق " <sup>(٢)</sup> .

(١) أبو بكر البيهقي ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص١٤٨ .

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٨٢٣ .

ففى ذلك بيان تشريعى يدعو إلى عدم تعطيل المال والمتمثل هنا فى أرض زراعية لم يستطع من اقتطعت له أن يستزرعها ويستفيد ويفيد المجتمع منها .

ولقد أثبت علم الاقتصاد الحديث أن فلسفة الزكاة تعتمد على ظاهرة اقتصادية هامة ، فهناك رأى اقتصادي يقرر أن "تناقص الميل الحدي للاستهلاك وتزايد الميل الحدي للاسهلاك عند الأغنياء ، وتزايد الميل الحدي للاستهلاك وتناقص الميل الحدي للاسهلاك عند الفقراء ويترتب على تلك الظاهرة زيادة الطلب الفعال ، ومحصلة ذلك انتعاش اقتصادى وبالتالي انتعاش بيئى سواء من ناحية الاستهلاك أو الاستثمار" (١)

ونستخلص مما سبق أن الشريعة الإسلامية والمبادئ التي أرساها وفصلها الرسول فى الزكاة بكل دقة وحقوق الفقراء فى أموال الأغنياء كذلك الأحاديث النبوية التي تناولت مقدار الزكاة وشروطها وكيفية أدائها والقائمين عليها وعملية توزيع الزكاة كل هذا أرساه الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) وليس المجال هنا لتفصيلها وإذا تم تطبيق الزكاة التطبيق الصحيح لانعدام الفقر وبالتالي سوف يحد من التلوث البيئى لأن الفقير لا يشغله هذا التلوث بقدر ما يشغله طعامه وكيفية اكتسابه فرعاية الفقير هي فى الأصل رعاية للبيئة التي يعيش فيها ، كما أن إطعامه تبين فلسفة السنة النبوية فى ضرورة الحفاظ على الجسد الإنسانى ومسئولية المجتمع عن التربية الجسمية لابنائهم ، فبدون الجسد لن يقوى الإنسان على القيام بدوره فى الحياة .وليس معنى ذلك أن يتجه المسلم أو ينتظر الزكاة والتواكل على ذلك بل العمل هو الوسيلة الأولى والأكيدة فى حل مشكلة الفقر ولم تضعف الدول الإسلامية وهانت على أعدائها إلا بعد أن تركت العمل وجعلت أقواتها تعتمد على الآخرين ، فمن لا يملك قوته لا يملك حريته .

(١) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمى فى الإسلام (السنة النبوية) ، ط٤ ، ( القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م ) ، ص١٣٤ .

## مشكلة تزايد السكان

مر النمو السكاني في العالم عامة بمراحل متعددة تباينت بين النمو المتناهي في البطء في مرحلة والنمو البطيء في مرحلة ثانية والنمو المعتدل في مرحلة ثالثة والنمو السريع أو الخطير في مرحلة رابعة وهي مراحل تعبر بصورة أو بأخرى عن العلاقة بين معدلات المواليد من ناحية ومعدلات الوفيات من ناحية أخرى، وتشير التقديرات إلى أن سكان العالم سيتضاعفون في الأعوام القادمة ليصل عددهم إلى حوالي ٨٠٠٠ مليون في عام ٢٠٢٠م (١).

إذا كانت هذه هي صورة النمو السكاني واحتمالات نموه مستقبلا فهل يتم ذلك دون مشكلات بيئية متعددة ؟، إن الناظر في مشكلة السكان يجدها أم المشكلات البيئية المعاصرة، ولعل في مقدمة هذه المشكلات مشكلة الغذاء وانتشار الفقر وتطالعنا الجرائد ونشرات الأخبار يوميا عن حالات الجوع التي تتعرض لها بلدان معينة وبالتالي زيادة الأمراض وانخفاض متوسط عمر الفرد المرتقب وبؤس أحوال الأطفال.

ومن الملاحظ أن ارتفاع معدل زيادة السكان يرتبط بالمستوى الغذائي ارتباطا عكسيا فنجد الدول التي تعاني من نقص الغذاء هي أكثر الدول نموا في السكان والدول التي تعاني من نقص معدل السكان والمواليد هي أكثر المدن تمتعا بالموارد الغذائية العالية. كما أن المشكلة السكانية ليست مشكلة غذائية فقط بل العدد المتنامي من السكان يؤدي إلى جملة من المشكلات البيئية ومنها عدم قدرة الدول المكتظة بالسكان توفير تقنيات التحكم في التلوث بسبب تكاليفها الباهظة واحتكارها من قبل الدول الصناعية، كما أن الزحف العمراني الناتج عن زيادة عدد السكان سوف يضر بالبيئة

(١) زين عبد المقصود، البيئة والإنسان - علاقات ومشكلات، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت) ص ٥٢.

ضررا كبيرا حيث ستكون ندرة المياه وتقلص مساحة الأراضي الزراعية من المشكلات الناتجة عن تزايد عدد السكان .

وسيصاحب اتساع رقعة المناطق الحضرية - نتيجة تزايد عدد السكان - تفاقم مشكلات تراكم النفايات الصلبة والسائلة المنزلية والصناعية وتلوث هواء المدن من جراء الاحتراق غير الكامل للوقود في وسائل النقل والصناعات المختلفة ومحطات توليد الكهرباء التي عادة ما ينتج عنها العديد من الملوثات .

كما أن زيادة السكان ينتج عنها تلوث مياه الشرب، نظرا للضغط الهائل على موارد المياه النظيفة وبالتالي نفاذها مما يضطر البعض اللجوء إلى وسائل أخرى تضر بالمياه وبالبيئة عموما وبالتالي على الإنسان نفسه وانتشار الأمراض مثل الكوليرا والتيفوئيد والتهاب الكبد الوبائي والفيروسي والذي زاد في المناطق المكتظة بالسكان (١).

وقد زاد الفقر والجهل والزيادة السكانية والبطالة وتراكم الديون وفوائدها من تفاقم مشكلات تلوث وتدهور البيئة في الدول النامية حيث تتم معالجة تلك التحديات أو أحدها على حساب البيئة أو أحد عناصرها ، كتوسع في الزراعة على حساب الأراضي الرعوية أو الغابية وكذلك إنهاك التربة بالزراعة المكثفة والمتعاقبة ، إضافة إلى ما يخلفه النمو السكاني المتزايد من مشكلات تتعلق بتوفير الكهرباء والغذاء والماء والخدمات الاجتماعية والعلمية والتعليمية وفرص العمل وما يخلفه نمو المدن بفعل الزيادة السكانية وتدفق الهجرة من الريف من مشكلات بيئية عديدة.

(١) عبد العزيز بن أحمد العيسى ، " البيئة والتنمية المستدامة " ، مجلة المنهل ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

## علاج مشكلة تزايد السكان من منظور السنة النبوية

قضية تنظيم الأسرة لتخفيف الضغط السكاني عن البيئة بما يحد من تدهور واستنزاف مواردها ، أصبحت من القضايا الحرجة التي تواجه الكثير من الدول الإسلامية بعد أن بدأ حجم السكان الحالي يضغط بشدة على موارد البيئة وأمام هذه القضية يثور سؤال حيوي هل يسمح الإسلام بتنظيم الأسرة أو يعارضه ؟ أو بمعنى آخر هل تنظيم الأسرة أمر جائز في الإسلام أو غير جائز ؟ الواقع أن قضية تنظيم الأسرة قضية تثير الكثير من الحرج والحساسية وهي قضية لم تحسم بعد بشكل نهائى حيث يثور من حولها الجدل ويختلف علماء المسلمين فيما بينهم بين مؤيد ومعارض ، بين من يصل بها إلى حد التحريم أو الإباحة .

إن سياسة تنظيم الأسرة ليست هدفاً في حد ذاتها ، وإنما هي غاية لتحقيق أهداف ومتطلبات تسعى ولاشك لخير المسلمين ، فإذا ما تحققت يصبح التخلي عن هذه السياسة وإطلاق الإنجاب في مساره الطبيعي أمراً وارداً ، إذا كان في إطلاق الإنجاب أيضاً ثمة ضرورة .

ليس من الضروري أن يكون تنظيم الأسرة عملية ملزمة لجميع الدول والشعوب الإسلامية ، وإنما هي عملية اختيارية بحتة تفرضها ظروف المجتمع المسلم علي سبيل المثال هناك دول إسلامية تسمح ظروفها وإمكاناتها البيئية بالإنجاب غير المقنن ، بل قد تربي ضرورة في تشجيع الإنجاب ، في حين أن هناك دولاً أخرى أصبح تقنين الإنجاب وضبطه ضرورة حتمية ومعني هذا أن قضية تنظيم الأسرة قضية نسبية وليست مطلقة فإذا كان هناك ثمة ضرورة لتنظيم الأسرة كأن يكون وسيلة لحل مشكلة ما ، أو إنقاذ المسلمين من ضرر أو تهلكة ما ، فلا ضرر ولا غضاضة في الدعوة إليه وتشجيعه . ويؤيد فكرة تنظيم الأسرة

عند الحاجة سواء أكانت لاعتبارات مرتبطة بالفرد أم بالدولة القواعد الإسلامية الفقهية "الضرورات تبيح المحظورات" ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام".

والإنسان يعيش فى عالم أصبحت تحكمه الحدود السياسية للدول ، وأصبح لكل دولة قوانينها التي تضبط وتقنن حركة الهجرة الوافدة إليها . ومن ثم أصبح لزاماً على كل دولة أن تكيف حجم سكانها وفقاً لقدرات وإمكانات بيئتها حتى لا تعيش عالة على غيرها أو تضغط على مواردها بشدة بما يؤدي فى النهاية إلى تدهورها واستنزافها السريع وما يواكبه من مشكلات كثيرة ، وهذا ما ينهى عنه الإسلام .

إذا كان البعض يرى أن الإسلام قد نهى صراحة عن تنظيم الأسرة من منطلق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدعو إلى النكاح والإنجاب قال: "تناكحوا تكثروا فإنني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ينكح الرجل الشابة الوضيئة من أهل الذمة فإذا كبرت طلقها الله الله فى النساء إن من حق المرأة على زوجها أن يطعمها ويكسوها" (١) "تزوجوا الولود الودود فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" (٢) . فإن هذا الرأي يمكن الرد عليه بأن سياسة تنظيم الأسرة لا تتعارض مع هذين الحديثين الشريفين للاعتبارات التالية:

إن سياسة تنظيم الأسرة لا تعني "لا نكاح - لا تناسل - لا تكاثر" ففي ظل هذه السياسة يتم النكاح ويتم التناسل لنمو السكان ، كل ما فى الأمر أنه يتم ضبط عدد أفراد الأسرة بما يحقق نمواً سكانياً معتدلاً يتواءم مع قدرات البيئة وإمكاناتها . فإذا كانت

(١) أبو بكر الصنعاني ( أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ت ٢١١ هـ ) ، مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ج ٦ ، ( بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ ) ، ص ١٧٣ .  
(٢) أبو بكر البيهقي ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٨١ .

ظروف البيئة في دولة ما محدودة الموارد وإن إرهاصات عجز البيئة عن الوفاء باحتياجات السكان بدأت تلوح في الأفق ، فإن ترك السكان ينمون بشكل سريع دون ضبط يعتبر أمراً غير مقبول لأن استمرار هذا الوضع السكاني سيؤدي مستقبلاً إلى الضغط الشديد على موارد البيئة مما يعجل بتدهورها واستنزافها وخلق الكثير من المشكلات في مثل هذه الحالة يصبح ضبط النمو السكاني ضرورة لا تتعارض مع روح الإسلام وتعاليمه لأنه سيحمي البيئة من خطر التدهور والاستنزاف .

كما يؤدي تنظيم الأسرة إلى تخفيف الضغط على موارد البيئة بما يساعد على صيانتها والمحافظة عليها وليس ثمة شك أن صيانة البيئة والمحافظة عليها وهي ميراث الأجيال المتعاقبة دعوة إسلامية لتستمر في تأدية دورها في إعالة الحياة . ويؤيد هذا التوجه القاعدة الفقهية الإسلامية " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " فإذا كان ضبط السكان من عوامل حماية البيئة وصيانتها فإنه يصبح أمراً واجباً لأنه لا يتم حماية البيئة إلا به . كما يؤدي تنظيم الأسرة إلى إحداث نمو سكاني معتدل وهو يتفق مع الدعوة النبوية إلى الاعتدال في كل شيء فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كلوا وتصدقوا وألبسوا في غير إسراف ولا مخيلة " (١) ، كما أن الله تعالى عندما أشار في الآية الكريمة إلى فترة الرضاعة .

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ  
الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ )

[سورة البقرة من الآية : ٢٣٣]

( ١ ) أحمد بن شعيب، سنن النسائي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٠ .

فأعطى فرصة للمولود أن ينمو وينضج ويكون هناك فاصل بين الحمل والحمل فمعنى أن تتم الرضاعة سنتين أن ينتظر الزوجين فترة من الزمن حتى يتم الحمل الآخر فهي دعوة لتنظيم النسل ولو بطريقة أخرى ، وليس معنى ذلك أن قضية تنظيم السرة هي القضية المعنية بحل مشكلة السكان وبالتالي حل المشاكل البيئية بل على الإنسان أن يعمل ويجد ويستثمر كل طاقاته للأرض كافية لأرزاق الناس ولكن سوء التوزيع وعدم تفكير الإنسان في العمل الجاد وهو ما جعل مشكلة الزيادة السكانية تظهر على السطح ، المثال على ذلك دولة الصين الشعبية وهي أكبر دولة من عدد السكان إلا أنها اتخذت خطوات جادة في سبيل استثمار هذا العدد الهائل من السكان وتصبح من أقوى الدول علما وتقدما تصدر إنتاجها إلى جميع أنحاء العالم وبقوة كبيرة مما يجعل مشكلة الزيادة السكانية عندها لیت بمشكلة .

وإذا ما حل حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ( تناكحوا تناسلوا ... ) أو الحديث الآخر " تزوجوا الولود .... " تحليلاً دقيقاً فيه بعد رؤية وشمولية ، يمكن القول أنه ليس فيهما دعوة صريحة ضد تنظيم الأسرة كما يعتقد البعض ، وإنما هو في الحقيقة دعوة صريحة ضد الرهينة فلا رهبانية في الإسلام . يقول الحق تبارك وتعالى :-

( وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ )

[الحديد: ٢٧]

فالرهبانية التي تعني المبالغة في التعبد الباطل الذي يحرم على الإنسان ما أحله الله له تعني لانكاح . لاتناسل ، وهذا على غير ما أمر به الله سبحانه وتعالى حيث تصبح الرهينة دعوة للقضاء على البشرية ومن ثم كانت دعوة الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم )

للنكاح من الزوجة الولود الودود لأن فيه تكاثر وبالتالي استمرارية للحياة كما أراد الله سبحانه وتعالى .

والواقع إن الإسلام لم يمه صراحة عن تنظيم الأسرة ، وإنما نهى عن أمور أخرى مرتبطة بما كانت تمارسه بعض الجماعات والشعوب قبل الإسلام من سلوكيات غير إسلامية مثل وأد الأولاد ، وهو فعل محرم شرعاً بنص الآية الكريمة .

( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ )  
( الأنعام ١٥١ )

ومما يشير إلى أن الإسلام لم يمه صراحة عن تنظيم الأسرة أيضاً ما جاء فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، واجتهادات فقهاء المسلمين الذين أباحوا العزل بهدف منع الحمل ( تنظيم الأسرة ) وبغض النظر عن الأسباب التي من أجلها كان يتم العزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، إلا أن ما نصب أن نؤكد عليه أن العزل فى حد ذاته كوسيلة من وسائل منع الإنجاب غير منهي عنه صراحة فى الإسلام فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال " كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل... فبلغ ذلك رسول الله فلم يهنأ " (١) وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) " نهى عن العزل للحررة إلا بإذنها " (٢)

وقد أباح أصحاب المذاهب الأربعة العزل عن الزوجة الحررة برضاها لأن لها حقاً فى الولد ، أما العزل عن الأمة برضاها وبدون رضاها ومن هذا المنطلق فلا مانع إذن لمنع استخدام هذه الرخصة والتشدد فى منعها طالما أن العزل من أجل تنظيم الأسرة يمثل ضرورة ملحة تفرضها ظروف الأسرة أو المجتمع ، وطالما أن تنظيم الأسرة ليس هدفاً فى حد

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ١٦٥ .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

ذاته ، وإنما وسيلة لتحقيق خير المسلمين وحل مشكلاتهم البيئية خاصة مشكلة الغذاء والتصحرو تدهور الموارد وغيرها .

وقد أورد الإمام الغزالي<sup>(١)</sup> فى كتابه " إحياء علوم الدين " إن من النيات الباعثة على العزل الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتران من الحاجة ودخول مدخل السوء . فإن قلة الحرج معين على الدين ، لأن الوقوع فى حرج دنيوي قد يفضى إلى حرج من دينه فيرتكب المحظور من أجل الأولاد .

وهنا تصدق القاعدة الفقهية الإسلامية " مما أدي إلى حرام فهو حرام " ومعنى هذا إذا كانت كثرة الإنجاب سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع ستؤدي إلى ارتكاب المحرمات بالنسبة للفرد السرقة - الرشوة - الاختلاس ، وبالنسبة للمجتمع سرعة استنزاف موارد البيئة وتدهورها وزيادة حدة مشكلة الغذاء والجوع وطلب المساعدات الغذائية وكلها تأتي من الدول غير الإسلامية مما يشوه صورة الإسلام ، فإن تنظيم الأسرة فى هذه الحالة يعتبر ضرورة حتى لا يحدث المحظور وحتى لا نعيش عالة على غيرنا .

فإذا أخذنا العالم الإسلامي نجد أن عدد سكانه يتزايدون زيادة سريعة "بمعدل يبلغ فى المتوسط ٢ر٥ ٪ سنوياً ويسمح هذا المعدل للسكان أن يتضاعفوا فى فترة زمنية قصيرة تبلغ حوالي ٣٠ سنة فإذا كان حجم سكان العالم الإسلامي فى عام ١٩٨٥ قد بلغ ٨٢٠ مليون نسمة ، معنى هذا أن الرقم سوف يقفز إلى ١٦٤٠ مليون نسمة فى عام ٢٠١٥ وإذا ما استمر هذا المعدل قائماً دون تغيير ، سيبلغ عدد سكان العالم الإسلامي إلى ٣٢٨٠ مليون نسمة عام ٢٠٤٥ م " (٢)

(١) الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ، ج ٨ ( القاهرة ، دار الشعب ، دبت ) ، ص ١٥١٨ .

(٢) سالم مرزوق الطحيح ، البيئة من منظور إسلامي ، ٢٠٠٣/٨/١٠ ، م ٢٠٠٣

وتتزايد الأعداد فى العالم الإسلامى بصورة مخيفة ويخشى أن تكون هذه الزيادة هي بداية الضعف والكثرة التي تشبه غناء السيل كما أخبرنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) "توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غناء كغناء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت" (١)، فإن قوة المسلمين ليست بالكثرة وإنما قوتهم بالإيمان والإخلاص لله وحسن العمل لا بزيادة الأعداد السكانية .

وهنا يبرز سؤال ملح هل إمكانات وقدرات البيئة فى العالم الإسلامى قادرة على استيعاب هذه الأعداد الضخمة فى أقل من ٦٠ سنة ، وهل البيئة قادرة على استيعاب هذه الأعداد دون استنزاف وتدهور سريع لمواردها ؟ أسئلة الإجابة عليها محيرة خاصة وأن بعض الدول الإسلامية بدأت قدرات بيئتها تنوء بما تضمه من سكان فى الوقت الحاضر فماذا نتوقع عندما يتضاعف هذا العدد مرتين فى حوالي ٦٠ سنة قادمة ، فهل ننتظر حتى تدهور موارد البيئة وتعجز عن الوفاء باحتياجات السكان ، أو من الواجب أن نخطط من الآن لتحقيق معدل نمو سكاني معتدل يتوازن مع قدرات وإمكانات البيئة ؟ فمن القواعد الفقهية الإسلامية " يجب دفع الضرر قبل وقوعه ومن ثم لا يجوز أن ننتظر حتى يقع الضرر لأن فيه مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية .

من هذه المناقشة يتبين أن تنظيم الأسرة لم يحرمه الإسلام صراحة ، بل يتمشى مع دعوة الاعتدال التي يحض عليها الإسلام . فتنظيم الأسرة يعنى النمو السكاني المعتدل الراشد الذي يتفادى به ومن خلاله الإفراط السكاني من ناحية ، والتفريط السكاني من ناحية

(١) أبو داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١١١ .

أخرى فكلاهما له خطورته . فالإفراط يؤدي إلى زيادة السكان زيادة سريعة وبالتالي الإسراف في استخدام موارد البيئة واستنزافها ، والتفريط يهدد مستقبل النمو السكاني نتيجة التناقص المطرد في حجم السكان ، " كما يحدث الآن في بعض الدول الأوربية التي غالت في ضبط النسل إلى حد التفريط حيث بدأت " تسود موضة الأسرة العذراء " الأسرة غير المنجبة " وأصبح النمو السكاني فيها سلبياً كما حدث في ألمانيا الاتحادية ولكسمبورج والنمسا والدانمرك والمجر مما دفع حكومات هذه الدول إلى الدعوة لتشجيع الإنجاب المعتدل لتفادي مخاطر التفريط السكاني أو ما نسميه " الردة السكانية " (١) .

ومن ثم تتضح عظمة الإسلام والسنة النبوية في دعوته إلى الاعتدال حتى تتفادى مخاطر كل من الإفراط والتفريط كما أن تنظيم الأسرة عملية نسبية يحكمه بالدرجة الأولى مقدار حجم المنفعة التي يمكن أن تتحقق ، أو مقدار الضرر الذي يمكن أن تتجنبه فإذا كان تنظيم الأسرة وسيلة لدرء ضرر أو جلب منفعة أصبح أمراً مباحاً وضرورياً من القاعدتين الفقهيّتين " درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة " يجب دفع الضرر قبل وقوعه " ومن ثم يجب ألا نقف من تنظيم الأسرة موقفاً متشدداً لاين فيه وإنما ننظر إلى القضية برؤية واعية هدفها الأول والأخير خير الإنسان برفع المعاناة عنه ، ومصحة البيئة بتخفيف الضغط الشديد على مواردها .

إن ضبط السكان لايعني أنه الحل الأوحد لمشكلاتنا وحماية بيئتنا من خطر التدهور والاستنزاف ، وإنما هو حل أو وسيلة من ضمن مجموعة وسائل لحل مشكلاتنا وحماية بيئتنا . إذا يجب أن يرافقه بذل كل جهد ممكن في تنمية الموارد البيئية وحسن استغلالها واستخدام أفضل الوسائل لصيانتها حتى نحقق في النهاية علاقة طيبة إيجابية

(١) عزه عبد العزيز سليمان ، شنوده سمعان شنوده ، " الفجوة الإسكانية وإسكان الفقراء " ، الأهرام الاقتصادية، العدد ١٠٤ ، ( القاهرة : مطابع الأهرام ، يناير ١٩٨٩م ) ، ص ١٥ .

## التربية البيئية فى ضوء السنة النبوية

متوازنة بين الإنسان وبيئته ، علاقة تصون البيئية وتحافظ عليها لتظل قادرة على العطاء  
الجيد إلى ما شاء الله ، وهذا ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى .

### خاتمة:

ليس هناك شك أن ما يعانیه المجتمع الإسلامي من مشكلات بيئية ، تسبب في إعاقة نموه وبطء تقدمه وهذا نتيجة بعد المجتمع الإسلامي عن مبادئ التربية البيئية في السنة النبوية وكذلك بعد المسلم عن بيئته الطبيعية وذلك لتنظيم علاقته بجميع عناصر تلك البيئة الحية وغير الحية تنظيمًا دقيقًا .

ولو التزم المسلمون بأسس ومبادئ التربية البيئية التي وضعتها السنة النبوية لما ظهرت المشكلات البيئية على اختلاف أنواعها .

إن التربية البيئية في السنة النبوية لم تهمل عنصرًا من عناصر البيئة ولم تغفل عما يمكن أن يعرض له من المشكلات ويتضح ذلك باستعراض كل مشكلة من المشاكل البيئية في المجتمع الإسلامي المعاصر وما يجابهها من سبل تنظيم علاقة الإنسان بالعنصر موضع المشكلة .

فبصدد مشكلة تلوث الهواء وضعت التربية البيئية في السنة النبوية حلاً لمشاكل تلوث الهواء لأنه عنصر هام في حياة الإنسان ولولا الهواء لما استطاع الإنسان العيش ولما كانت هناك حياة والرسول (صلى الله عليه وسلم) حريص على عدم تلويث الهواء وكذلك دعوته إلى استزراع الأشجار والنباتات والتي تعتبر مصفاة للهواء وتنقية له .

وكذلك مشكلة التلوث المائي وضعت التربية البيئية من خلال السنة النبوية حلولاً كثيرة لمشكلات تلوث الماء منها مشكلات الصرف الصحي وإلقاء النفايات والسيطرة على الماء وهي قضية تشغل بال الكثير من دول العالم والماء ضروري للإنسان لأنه خلق منه ويعيش به .

وعند تناول مشكلة التلوث الضوضائي نجد أن السنة النبوية وضعت أكثر من حل لمشاكل الضوضاء والأصوات العالية التي قد تصيب الإنسان بالصمم أو ضعف السمع على أقل تقدير كما أن الإنسان لا يستطيع أن ينتج في ضوء الأصوات العالية والمرتفعة وذلك لفقدانه التركيز.

كما أولت السنة النبوية لمشكلة التلوث الغذائي عناية خاصة فقد نظمت حياة الناس غذائيا ووضعت أسسا وقواعد لابد أن يتبعها القائمون على صناعة الأغذية سواء مصانع كبيرة أو صغيرة لأن من الغذاء تعرف الأمراض كما أن معظم الأمراض التي تصيب الإنسان السبب المباشر لها هو الغذاء ولذلك أولت السنة النبوية بهذا الموضوع جل اهتمامها .

ورأس المشكلات البيئية هي مشكلة التلوث الخلفي؛ لأنها هي المسئول الأول عن جميع المشكلات البيئية فكل ما يفسده الإنسان في بيئته قاصدا الضرر والمنفعة الذاتية يعد تلوثا خلقيا وإصلاحه لن يتم إلا بإصلاح الضمير والسنة النبوية كفيلة بإصلاحه لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما يخاطب شخصيات متنوعة يعلم تماما كيف يعدهم خلقيا ويتعامل معهم بأساليب تجعل من الكلام سلوكا يتبع وكل هذا في مصلحة التربية البيئية .

واهتمت السنة النبوية بمشكلة الفقر وهي صنفتم كمشكلة بيئية نظرا لأنها مرض الشعوب النامية والتي بها أكثر نسب التلوث لأن الفقر يضر بالاقتصاد وبالتالي على حساب مزار البيئية فمثلا عند إنشاء مصنع في بلد نامية نجد أن أقل ميزانية في تكلفة المصنع توضع للمردود البيئي لهذا المصنع لأن هم هذه الدول هو زيادة الإنتاج لسد رمق

شعوبها الفقيرة بغض النظر عن تلوث البيئة ولقد استعاذ الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) من الفقر ووضع العلاج المناسب له .

وأخيراً وضعت السنة النبوية علاجاً شاملاً لمشكلة تزايد السكان وهو من المفاهيم الكبرى للتربية البيئية التي أولتها السنة النبوية رعاية خاصة فقد شرع رسول الله تنظيم النسل وكونه حث على الزواج والتكاثر فذلك ليس من أجل الكثرة المهلهلة بل حث عليه لحفظ النوع وتكوين أسرة قوية قادرة على العيش وفقاً لقدراتها ومتطلباتها كما شرع رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) العزل في الحالات التي قد تضر بالإنسان ومشكلة تزايد أعداد أفراد الأسرة برغم محدودية الدخل تعد مشكلة بيئية بالدرجة الأولى لأن زيادة الأفراد ينتج عنها زيادة استهلاك موارد البيئية مما يجعلها غير قادرة على العطاء وبالتالي تحدث المشكلات البيئية السالفة الذكر .

وإجمالاً يمكن القول بأن السنة النبوية قد قدمت إطاراً لمواجهة جميع المشكلات البيئية بإبرازها للمسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق الإنسان تجاه البيئة الطبيعية وعناصرها الحية وغير الحية والأمانة العظمى التي حملها الإنسان يوم استخلفه الله على الأرض.